

سمات إفخارستية الإسكندرية

مثلة في قدّاس القديس مرقس الرسول و قدّاس القديس سراييون الأسقف

تمهيد

حول القديس سراييون

حول خولاجي سراييون – EΥΧΟΛΟΓΙΟΝ ΣΑΡΑΠΙΩΝΟΣ

مقدمة عامة

أولاً: مقدمة صلاة الشكر الكبرى

التطابق بين قدّاسي القديس مرقس الرسول والقديس سراييون في مقدمة صلاة الشكر الكبرى
ثانياً: التطابق بين قدّاسي القديس مرقس الرسول والقديس سراييون في وجود الأواشي في البداية

ملاحظات عامة على بعض الأواشي

(١) أوشية سلام الكنيسة

(٢) أوشية الرّاقدين أي المجمع

(٣) أواشي الآباء

أوشية من أجل البطريرك فقط

أوشية من أجل الأساقفة وكل طغمت الكنيسة في القدّاس المرقسي

ثالثاً: التسبحة السيرافيمية

رابعاً: مضمون الصلوات الليتورجية بعد أجيوس، وقبل كلمات التأسيس

الرباط المحكم للنص الليتورجي لقدّاسي مرقس الرسول وسراييون الأسقف، وعلاقته بما تم في طقس تقديم الحمل

خامساً: فرادة المضمون الليتورجي لكلمات التأسيس في قدّاسي القديسين مرقس وسراييون

سادساً: فرادة المضمون الليتورجي للتذكّار في قدّاسي القديسين مرقس وسراييون

سابعاً: فرادة المضمون الليتورجي لتقريب القرايين في القدّاس المرقسي

ثامناً: الاستدعاء في قدّاس القديس سراييون هو استدعاء لأفنون الابن

تاسعاً: الصلوات السرية التي تُقال بعد أبانا الذي ...

(١) صلاة بعد أبانا

(٢) صلاة خضوع للآب

(٣) صلاة التحليل موجهة للآب

مُلحق عن ”أوشية الرّاقدين“ في خولاجي القديس سراييون

مقابلة بين نص أوشية الرّاقدين في كل من خولاجي سراييون، وما نُصليّه اليوم لهذه الأوشية

تمهيد

← 2 حول القديس سراييون

صار القديس سراييون Serapion أباً لجماعة رهبانية، قبل أن يُصبح أسقفاً لثمويس Thmuis (تحي الأמיד^(١)) بالوجه البحري سنة ٣٣٤م تقريباً. ويصفه المؤرخ سوزومين (أوائل القرن الخامس)، بأنه أسقف متميز لسبب قداسته العجيبة، وقوة فصاحته^(٢). ويقول عنه القديس جيروم (٣٤٢-٤٢٠م) في كتابه "مشاهير الرجال": إنه نال لقب "المعلم" لسعة علمه^(٣).

وهو صديق مقرب للقديس أنبا أنطونيوس أب الرهبان (٢٥١-٣٥٦م)، الذي استأمنه على رؤاه. وقد أهداه القديس أنطونيوس عند انتقاله، واحدة من فروتي حروف كانتا له، كما أهدى الثانية إلى البابا أناسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م).

وهو واحد من الذين أرسل إليهم البابا أناسيوس، أهم رسائله العقيدية، وهي أربع رسائل عن الروح القدس. ويدعو في رسالته الفصحية التي كتبها سنة ٣٣٩م: "الأخ الحبيب وزميلنا في الخدمة". مما يعني أنه صار أسقفاً قبل هذا التاريخ.

وفي سنة ٣٥٦م، أوفده البابا أناسيوس مع أربعة أساقفة آخرين، وثلاثة كهنة، إلى بلاط الإمبراطور قسطنطينوس^(٤) (٣٣٧-٣٦١م)، لتفنيد وشايات جماعة أريوس، ولكي يهدتوا من ثورة الإمبراطور، فعزله الإمبراطور ونفاه عن كرسيه.

ولقد تحمّل القديس سراييون عذابات وآلاماً في مدّة أسقفية، أهلته لأن يكون واحداً من مصاف "المعترفين". أمّا تاريخ نياحته، فغير معروف بالتّحديد، ويُظنُّ أنه خريف سنة ٣٥٩م أو سنة ٣٦٢م.

← 2 وللقديس سراييون قرابة اثنتا عشر مؤلفاً هي:

• ضد المانئين. • رسالة إلى إدوكسيوس الأسقف. • رسالة إلى الرهبان. • شذرة من الرسالة رقم ٢٣. • أجزاء من الرسالة رقم ٥٥. • شذرة من عظة على التبتولية. • أجزاء من رسالة إلى الأساقفة المعترفين. • أجزاء غير محدّدة. • رسالة إلى تلاميذ أنطونيوس. • أجزاء من تعليقات على سفر التكوين. • الإفخولوجيون (الخولاجي). • شذرة وردت عند إيفاجريوس البنيطي.

← 2 أمّا المؤلفات التي ثبت عدم صحّة نسبتها إليه خمسة مؤلفات هي: • عن الآب والابن. • سيرة مقاريوس الإسقيطي. • حياة أنطونيوس المتوحّد. • حياة بيشوى المتوحّد. • حياة يوحنا المعمدان. أمّا كتابه في شرح سفر المزامير فقد ضاع.

← 2 حول خولاجي سراييون – EΥΧΟΛΟΓΙΟΝ ΣΑΡΑΠΙΩΝΟΣ

"الإفخولوجيون" الذي دوّنه القديس سراييون، ذو أهميّة بالغة. وهو يُعدُّ من أشهر الآثار الليتورجية. ويضمُّ هذا الإفخولوجيون ٣٠ صلاة، تعود إلى ما قبل سنة ٣٥٠م، من بينها ١٨ صلاة تختص بصلاة الإيفخارستيا، و٧ صلوات للمعمودية والميرون، و٣ صلوات للرسامات الكنسية، وصلاتان لتبريك الزيت، ومن أجل الميت المنقول للدفن.

١- وهي تقع على بعد حوالي عشرة كيلومترات، إلى الشمال الشرقي من مدينة السنبلوين بمحافظة الدقهلية.

2. Hist. eccl., 4:9

3. De viris illustribus, 99.

٤- يقول المؤرخ سقراط (٣٨٠-٤٥٠م): "إن الإمبراطور قسطنطينوس الذي كتّب سيرة حياة الإمبراطور قسطنطين الكبير (٣٢٣-٣٣٧م)، هو الذي بنى كاتدرائية آجيا صوفيا على الطراز البازيليكي". ومن المعلوم أنه في هذه الكاتدرائية، ألقى القديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) كثيراً من عظاته.

وهناك ارتباك عند بعض المؤرخين في شخصية الإمبراطور الذي نفى القديس سراييون. فالإمبراطور قسطنطين الكبير (٣٢٣-٣٣٧م) له ثلاثة أولاد، الأول هو قسطنطين، ويُسمى أيضاً قسطنطين الثاني (٣٣٧-٣٤٠م). والثاني هو قسطنس ويُسمى أيضاً قنستنس (٣٣٧-٣٥٠م). والثالث هو قسطنطينوس ويُسمى أيضاً قسطنطينوس أو قسطنديوس أو قنستانس (٣٣٧-٣٦١م). ولقد اتبع الأول والثاني قرارات مجمع نيقية، وحكما الجزء الغربي من الإمبراطورية، بينما تآرجح الثالث بين الاتجاهين، وحكم الجزء الشرقي من الإمبراطورية.

← 2 وقد حُفِظَ نصُّ هذا الإفخولوجيون، الذي يرجع إلى القرن الرَّابِع المِلاَدِي (٣٥٠م) في مخطوط وحيد فريد، يعود إلى القرن الحادي عشر المِلاَدِي، تحت رقم (١٤٩) في مكتبة دير لورا Laura بجبل آتوس، وقد اكتشفه العلامة الروسي ديمتريفسكي سنة ١٨٩٤م. ولم يعرفه ميني Migne، ولذلك لم يضمَّه في مجموعته اليونانية PG.

وإثر اكتشافه، سرعان ما حقَّقه العالم الألماني جورج فوبرمين G. Wobbermin ونشره بالألمانية في مدينة لايبزج Leipzig سنة ١٨٩٨م في مجموعة الدِّراسات الآبائية المدعوَّة: "نصوص وأبحاث في تاريخ الأدب المسيحي القديم (TU)"، تحت عنوان: "قطع ليتورجية مسيحية عريقة من كنيسة مصر، بالإضافة إلى رسالة عقائدية لسراييون أسقف تمويس"^(٥).

وعلى وجه السرعة قام دكتور John Wordsworth أسقف سالسبري بترجمة نشرة العالم الألماني جورج فوبرمين G. Wobbermin إلى الإنجليزية، مع عمل مقدِّمة وفهارس وملاحظات على النص، ونشره في لندن في نفس سنة ١٨٩٩م^(٦).

كما نشره العالم الإنجليزي فرانك إدوارد برايمان F.E. Brightman (١٨٥٦-١٩٣٢م) في لندن سنة ١٩٠٠م، في "مجلة الدِّراسات اللاهوتية (JThS)"^(٧). كما نشره أيضاً العالم الألماني فونك Franz Xaver Funk (١٨٤٠-١٩٠٧م) في بادربون Paderbon (ألمانيا) سنة ١٩٠٥م في كتابه الشهير: "الدِّسقولية والمراسيم الرسولية"^(٨).

كما حقَّقه ونشره العالم جونسون M.E. Johnson في روما سنة ١٩٩٥م في مجموعة "مختارات من الشُّرق المسيحي - *Orientalia Christiana Analecta (OCA)*"، تحت عنوان: "صلوات سراييون أسقف تمويس: تحليل أدبي وليتورجي ولاهوتي"^(٩).

ويرى العالم أخيلس M.H. Achelis أن خولاجي سراييون هو وثيقة مصرية أصيلة، إذا ما قورنت بالقوانين (أو المراسيم) المصرية *Constitutions égyptiennes* إذ تعطينا انطباعاً بأنه توجد وثيقة أخرى أقدم من كليهما، قد نقلتا كلُّ منهما عنها. وهكذا يرى كثيرٌ من علماء الليتورجيا، أن الصَّلوات الواردة في خولاجي سراييون، هي صلوات مصرية قديمة، عرفتها كنيسة مصر، قبل زمن القُدَّيس سراييون (القرن الرَّابِع).

← 3 مقدِّمة عامة

← 3 القُدَّاس المرقسي أو الكيرلسي - ومعه قُدَّاس القُدَّيس سراييون - هو ذات سمات مصرية خاصة، إذ يختلف من حيث تسلسل أجزائه، عن باقي القُدَّاسات الشَّرقيَّة الأخرى. كما يختلف أيضاً عن القُدَّاسين الباسيلي والغريغوري القبطيين اللذين يأتيان في تسلسل أجزائهما على منوال الليتورجيات السريانية الأنطاكية، وبالتحديد ليتورجية القُدَّيس يعقوب أخي الرب.

← 3 ومن أقدم المسميات للقُدَّاس الإلهي في الكنيسة القبطية، المصطلح اليوناني προσφορά (بروسفورا) والذي انتقل بنصّه ونُطقه إلى اللغة القبطية *προσφορά* ويعني "تقدمة". وهو المصطلح الذي نجده عند العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م) في حديثه عن صلوات القُدَّاس الإلهي. وإنَّ العنوان الرَّئيسي لقُدَّاس القُدَّيس سراييون، هو *Εὐχή προσφοράς* أي: "صلاة البروسفورا" أو "صلاة التقدمة". وهي نفس الكلمة "بروسفورا" التي وردت في قوانين البابا أناسيوس الثاني (٤٨٩-٤٩٦م) بطريرك الإسكندرية في نهاية القرن الخامس. ولكن المترجم لهذه القوانين إلى اللغة العربية في القرن الحادي عشر

5. G. Wobbermin, *Altchristliche liturgische Stücke aus der Kirche Aegyptens nebst einem dogmatischen Brief des Bischofs Serapion von Thmuis*, Texte und Untersuchungen zur Geschichte der altchristlichen Literatur, (TU 17, 3b), Leipzig, 1898.

6. John Wordsworth, D.D., *Bishop Sarapion's Prayer-Book, An Egyptian Pontifical Dated Probably about A.D. 350-356*, translated from the edition of Dr. G. Wobbermin, with introduction, notes and indices, London, 1899.

7. F.E. Brightman, *The Sacramentary of Serapion of Thmuis*, in *The Journal of Theological Studies*, vol. 1, London, 1900, p. 88-113 ; 247-277.

ولقد ترجمتُ النصُّ اليوناني لخولاجي سراييون إلى اللغة العربية، من هذا المرجع. وعن نشرة العالم برايمان هذه، نُشر نصُّ اليوناني المحقَّق، في مكتبة الآباء اليونان.

Βιβλιοθηκὴ Ἑλλήνων Πατέρων, καὶ ἐκκλησιαστικῶν συγγραφέων, Ἀθήναι (BEI).

8. F.X. Funk, *Didascalia et Constitutiones Apostolorum II*, Paderbon, 1905, p. 158-195.

9. M.E. Johnson, *The Prayers of Sarapion of Thmuis. A Literary, Liturgical and Theological Analysis*, dans *OCA* 249, Roma, 1995, p. 46-80.

الميلادي، ترجم كلمة "بروسفورا" القبطية إلى كلمة "قدّاس"^(١٠).

3 ← وتعدُّ ليتورجية القديس سراييون من أقدم وأوضح الأمثلة على التطور الذي حدث في مفهوم مخاطبة الله في الصلاة في شكل صفات عكسية، بسبب تأثير التماذج الهلينية أو الفلسفية اليونانية القديمة، وهو ما يُعرف باسم "اللاهوت السليبي" Apophatic or negative theology أي بوضع كلمة "غير" - والتي يقابلها الحرف اليوناني α - قبل الصفة. إذ تميل نظريات الفلسفة القديمة، إلى وصف أو تعريف من يتعذر وصفه، بهذا الأسلوب العكسي. فتصف ليتورجية القديس سراييون الله بالصفات الآتية:

3 ← "غير المخلوق" $\alpha\gamma\acute{\epsilon}\nu\eta\tau\omicron\varsigma$. "غير المخصوص" $\alpha\nu\epsilon\kappa\phi\omicron\rho\acute{\alpha}\sigma\iota\varsigma$. "غير الموصوف" $\alpha\nu\epsilon\kappa\phi\omicron\rho\acute{\alpha}\sigma\iota\varsigma$. "غير المدرك" $\alpha\kappa\alpha\tau\alpha\nu\omicron\theta\eta\sigma\iota\varsigma$.

وهو الأسلوب الليتورجي الذي نجده بوفرة في الليتورجية القبطية، وصلوات الخدمات الكنسية الأخرى، لاسيما التسبحة اليومية.

3 ← كما أنّ النص الليتورجي في أنافورا القديس سراييون، مشحون بعناصر تحوي كثيراً من التعاليم الإيمانية التي تشرح الإيمان شرحاً مستفيضاً. فإنّ عدنا إلى الفترة المحصورة بين القرنين الرابع والخامس الميلاديين، نجد أنّ التصوص الليتورجية قد حملت كثيراً من العبارات اللاهوتية، إضافة إلى اللاهوت الجدلي أيضاً، والمباحثات العقيدية. أمّا الصيغ الليتورجية المبكرة، والتي صيغت بفطرة الجماعة المسيحية الأولى، فكانت غالباً خالية من مثل هذه العناصر.

وعلى الآن الرّبط بين التصوص الليتورجية لقدّاس القديس سراييون ونظيرتها في قدّاس القديس مرقس الرسول، لنتبين ما تحمله من سمات تختص بكنيسة الإسكندرية وحدها، دوناً عن التقاليد الإيفخارستية لباقي الكنائس الأخرى.

4 ← أولاً: مقدمة صلاة الشكر الكبرى

4 ← "صلاة الشكر الكبرى" هي الصلاة التي تبدأ بقول الكاهن "فلنشكر الرب"^(١١) وهي الصيغة التي يعقبها مرد الشعب "مستحق وعادل"^(١٢) في الكنيسة المسيحية شرقاً وغرباً. وهذه الصيغة الليتورجية "فلنشكر الرب" والتي بسببها يُسمّى الطّقس كلّهُ بصلاة الشكر، أو بسرّ الشكر، أو بسرّ الإيفخارستيا، كانت تُقال في الطّقس العبري في نهاية الوليمة على كأس البركة، وهي مرفوعة في يد رئيس المتكأ. وكان لا يصح أن تكون حواراً بين رئيس المتكأ والمتكئين معه، إلا إذا كان عدد الحضور لا يقل عن مائة شخص. فهي نداء لصلاة شكر جماعي. أمّا إذا كان العدد في حدود عشرة أشخاص، فتكون

١٠ - كما في القوانين ٤:١٤، ١:٢٥، ٤٠، ١:٤٩، ٢:٩٣

وهو ما استطعنا أن نعرفه من النص القبطي للقانون (٤٩)، والقانون (٩٣)، وهما من بين القوانين القليلة ضمن هذه القوانين التي لازالت محفوظة لدينا بنصّها القبطي القديم.

Riedel, W. and Crum, W., *The Canons of Athanasius Patriarch of Alexandria*, London, 1904, p. 92, 112.

١١ - تتفق جميع الليتورجيات شرقاً وغرباً على صيغة: "فلنشكر الرب"، ما عدا ليتورجية أداي وماري للسريان المشاركة (النساطرة)، حيث يقول الكاهن فيها: "يقرب القربان لله، ربّ الجميع".

١٢ - يأتي هذا المرد في ترجمته العربية القديمة الأكثر دقة: "مستحقّ ومستوجب"، أو في صيغة "مستحقّ وعادل"، بحسب الترجمة العربية التي ظهرت في العصور الوسطى. وهو مردٌ قديمٌ جداً، معروفٌ في كافة أنحاء العالم المسيحي، شرقاً وغرباً بلا استثناء. ومع ذلك، فليس له نموذجٌ يهودي يناظره، لأنه مرد لا يعرفه الجمع اليهودي. أي أنّ منشأه وأصله، جاء من العالم اليوناني الهليني، ودخل لغة المسيحية المبكرة في مهد نشأها.

Cf. Baumstark, A., *Comparative Liturgy*, English Edition By F.L. Cross, London, 1958, p. 82.

هذا المرد - وبحسب نصّه اليوناني - ليس صفة موجهة إلى الرب، ولكنّه موجهٌ إلى الشكر نفسه، أي: "إنه أمرٌ واجبٌ ولائقٌ أن نشكرك"، أو: "إنه مستحقّ وعادلٌ أن نشكر الله". وفهم المرد يأتي بسهولة من مجريات الحوار بين الكاهن والشعب. فحين يقول الكاهن للشعب: "فلنشكر الرب". يجب الشعب: "إنه واجب ولازم أن نشكره". فيأخذ الكاهن بادئة الصلاة نفسها من ذات مرد الشعب، ليتوجّه بها إلى الله ويخاطبه بقوله: "مستحقّ وعادل..."، أي أنه "واجب ولائق" أو: "واجب ولازم أن نسبحك ونبارك ونخدمك ونسجد لك ونمجدك...". أي أنّ كلمات المرد التي التقطها الكاهن في فم الشعب، ليبدأ بها الصلاة الإيفخارستية، هي تقرير حال. وإلا لو كانت كلمتا "مستحقّ وعادل"، تأتيان كصفتين مختصتين بالله، لما استفاد المعنى في صلاة الكاهن. بالإضافة إلى أنّ المرد في نصه اليوناني يأتي في صيغة المحايد، وليس الفاعل.

”صلاة الشُّكر الصُّغرى“، والتي ليس لها مرد. مثل صلاة الشُّكر التي تُقال في طقس تقديم الحَمَل. والتي بدايتها: ”فلنشكر صانع الخيرات ...“، وهي صلاة بدون مرد مباشر.

وصلاة الشُّكر التي وردت في ليتورجية التَّقليد الرُّسولي، التي وردت في كتاب التَّقليد الرُّسولي لهيبوليتس (٢٣٥م) هي الصَّيْغة الأوَّليَّة لصلاة الشُّكر الكُبرى، أي الصَّيْغة التي اشتقت منها كلُّ الصَّيْغ الإفخارستية (أي صلوات الشُّكر)، التي أتت بعد ذلك^(١٣). وهي الصَّيْغة التي بدايتها: ”نُقَدِّم لك الشُّكر يا الله، بفتاك الحبيب يسوع المسيح، الذي أرسلته لنا في نهاية الأزمنة، مخلصاً وفادياً، ورسول إرادتك ... الخ“.

ولقد دُعيت ”صلاة الشُّكر الكُبرى“، باسمها هذا، لأنها في مضمونها هي إفخارستية، أي شُّكر، مقدَّم لله الآب، بواسطة ابنه يسوع المسيح. وهو نفس ما نجده في قُدَّاس ما قبل نيقية، أي تقديم الشُّكر للآب بواسطة ابنه يسوع المسيح. حيث يقول النَّص: ”إننا نقيم لك الشُّكر ياربُّ، بواسطة ابنك المحبوب يسوع المسيح ...“. وهذا هو مضمون الإفخارستية كُلِّها. ويُستفاد من كلام القُدَّيس يوستينوس الشَّهيد (١٠٠-١٦٥م)، أن صلاة الإفخارستية من أوَّلها إلى آخرها، هي شكرٌ موجهٌ إلى الله الآب. كما يُطلعنا العلامة أوريجانوس على التَّقليد اللِّيُتورجي القديم لكنيسة الإسكندرية، فيقول: [وكما بدأنا الصَّلَاة بتمجيد الله، فمن المناسب أن نختتمها بتمجيد وتبسيح: ”نمجد الآب بالمسيح يسوع في الرُّوح القُدَّس“]^(١٤).

← 4 وتُدعى ”صلاة الشُّكر الكُبرى“ في خولاجي سراييون باسم: ”صلاة التَّقديمة“ Eὐχὴ προσφορᾶς .

← 4 أمَّا ”مقدِّمة صلاة الشُّكر الكُبرى“، والتي تبدأ بالشُّكر كما سبق أن ذكرتُ، فهي الصَّلَاة التي تبدأ بقول الكاهن: ”الرَّب مع جميعكم“، وتنتهي قبل بدء التَّسبيحة السِّيرافيمية مباشرة. وهذه المقدِّمة يدعوها النَّص اليوناني للقُدَّاس الباسيلي، باسم ”بدء التَّقديمة“ Ἀρχὴ τῆς προσκομιδῆς . وهي تدعى أيضاً: ”المقدِّمة الإفخارستية“ Preface .

وإنَّ استخدام ”مقدِّمة الأنافورا“، أو ”مقدِّمة صلاة الشُّكر الكُبرى“ والتي تنتهي قبل بدء التَّسبيحة السِّيرافيمية، قد ظهرت أولاً في كنيسة الإسكندرية قبل سنة ٢٣٠م، ومنها انتشرت إلى باقي كنائس مصر. ثم امتدت لنتشر في كلِّ أرجاء العالم المسيحي^(١٥). ويؤكد العالم اللِّيُتورجي المدقق الأب جريجوري دكس G. Dix (١٩٠١-١٩٥٢م)، على أن ”المقدِّمة الإفخارستية“ Preface والتي تسبق التَّسبيحة السِّيرافيمية، هي إسكندرية المنشأ، وقد استعارها ليتورجية أورشليم من ليتورجية الإسكندرية^(١٦). أو بتعبير أوضح، استعارها قُدَّاس القُدَّيس يعقوب أخي الرَّب، من قُدَّاس القُدَّيس مرقس الرُّسول.

← 5 التَّطابق بين قُدَّاسي القُدَّيس مرقس الرُّسول والقُدَّيس سراييون في مقدِّمة صلاة الشُّكر الكُبرى

برغم أن مقدِّمة أنافورا القُدَّيس سراييون تشذ عن القاعدة الرئسيَّة، لمقدِّمة الأنافورا، حيث لا يرد فيها كلمة ”الشُّكر“ أي ”الإفخارستية“، بل قد اختفت منها تماماً أيَّة إشارة لفعل ”الشُّكر“ هذا، إلاَّ أنَّ جانباً من النَّص اللِّيُتورجي لمقدِّمة أنافورا القُدَّيس سراييون، والذي يسبق التَّسبيحة السِّيرافيمية، يتطابق مع نظيره من أنافورا القُدَّيس مرقس الرُّسول. ممَّا يتَّضح معه، أنَّ ليتورجية القُدَّيس سراييون، منحدره من صلاة ليتورجية مصرية قديمة، مشابهة تماماً لتلك التي جاءت منها ليتورجية القُدَّيس مرقس الرُّسول.

← 5 وفيما يلي مقابلة، بين النَّصين اللِّيُتورجيين، اللَّذين يسبقان التَّسبيحة السِّيرافيمية، في كلِّ من قُدَّاس سراييون، والقُدَّاس المرقسي، لنرى مقدار التَّطابق بينهما.

13. Baumstark, A., *op. cit.*, p. 47.

١٤ - عن الصَّلَاة (٦:٣٣).

15. Gregory Dix, Dom, *The Shape of Liturgy*, London, 1982, p. 165.

16. Gregory Dix, Dom, *op. cit.*, p. 197.

مقدمة القُدَّاس المرقسي	مقدمة قُدَّاس سراييون
”لأنك أنت هو الله الذي فوق كل رئاسة، وكل سلطان، وكل قوَّة، وكل سيادة، وكل اسم يُسمَّى، ليس في هذا الدهر فقط، بل وفي الآتي.	”لأنك أنت فوق كل رئاسة، وسلطان، وقوَّة، وسيادة، وكل اسم يُسمَّى، ليس فقط في هذا الدهر، بل أيضاً في الآتي.
أنت الذي يقوم أمامك ألوف ألوف، وربوات ربوات، الملائكة ورؤساء الملائكة المقدَّسين، يخدمونك.	أنت الذي يقف حولك ألوف ألوف، وربوات ربوات الملائكة، ورؤساء الملائكة، والعروش، والرَّبوبيَّات، والرئاسات، والسلاطين.
أنت الذي يقوم أمامك حيوانك الكريمان جداً، ذو السَّنة أجنحة الكثير الأعين، السَّرافيم والشَّيرِوبيم.	أنت هو الذي يقف حولك السَّاروفان المكرَّمان جداً، ذو السَّنة أجنحة.
فبجناحين يغطون وجوههم من أجل لاهوتك الذي لا يُستطاع النَّظر إليه، ولا التَّفكير فيه. وباتنين يغطون أرجلهم، ويطيرون بالاتنين الآخرين.	فبجناحين يغطيان الوجه، وباتنين يغطيان الرِّجلين، ويطيران باتنين.
لأنَّ في كلِّ مكان، يقدِّسك كلُّ أحد.	ويقدِّسانك.
لكن مع كلِّ من يقدِّسك، اقبل تقديسنا متاً نحن أيضاً ياربُّ، إذ نسبحك معهم قائلين:	اقبل أيضاً تقديسنا قائلين معهم:

(المرد): قُدُّوس قُدُّوس قُدُّوس ربُّ الصِّبَاؤوت. السَّماء والأرض مملوءتان من مجدك“.

ولقد أشار العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م)، إلى الرِّباط المحكم الذي يربط بين السَّاروفين اللَّذين ورد ذكرهما في الإصحاح السَّادس من سفر إشعياء النَّبي، واللَّذين يرد ذكرهما أيضاً في المقدمة الإفخارستية Preface وبين النَّص الليتورجي للتَّسبحة السِّرافيميَّة Sanctus نفسها من داخل الليتورجيا. فيشرح أنَّ نصَّ إشعياء (٢:٦) بقوله إنَّ السَّاروفين، لكلِّ واحد منهما سَنة أجنحة، باتنين يغطِّي وجهه (أي وجه الله)، وباتنين يغطِّي رجليه (أي رجلي الله)، ويطير هو نفسه باتنين^(١٧).

وهو نفس ما نجده في ”المقدمة الإفخارستية“ Preface في قُدَّاس سراييون، حيث يذكر النَّص التَّالي: ”أنت هو الذي يقف حولك السَّاروفان المكرَّمان جداً، ذوو السَّنة أجنحة. فبجناحين يغطيان الوجه Tò πρόσωπον (تو بروسوبون)، وباتنين يغطيان الرِّجلين، ويطيران باتنين“.

ولكن في زمن القُدَّيس أنثاسيوس الرُّسولي (٣٢٨-٣٧٣م)، عدلت كنيسة الإسكندرية صيغة Tò πρόσωπον (تو بروسوبون) أي ”الوجه“، إلى صيغة Tὰ πρόσωπον (تا بروسوبا) أي ”وجهيهما“. وهو ما نجده في ليتورجية القُدَّيس يعقوب الرُّسول أخي الرُّب، وهو أيضاً ما أوضحه القُدَّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) في أنطاكية في نهاية القرن الرَّابع الميلادي.

ولكن القُدَّيس كيرلس الأورشليمي - مثل القُدَّيس سراييون - ظلَّ يحتفظ بتفسير كنيسة الإسكندرية القديم، الذي ظهر فيها في القرن الثالث الميلادي بهذا الخصوص. وهي إشارة قد عرفنا منها، أنَّ كنيسة أورشليم قد استعارت المقدمة الإفخارستية Preface والتَّسبحة السِّرافيميَّة Sanctus من كنيسة الإسكندرية^(١٨).

17. Origin, *de Principiis*, iv, 3-4.

18. Gregory Dix, *Dom*, op. cit., p. 197.

← 6 ثانياً: التَّطابق بين قُدَّاسي القديس مرقس الرسول والقديس سراييون في وجود الأواشي في البداية

لقد انشطرت "مقدمة صلاة الشكر الكبرى" في القُدَّاس المرقسي إلى نصفين، ودخل بينهما خمس عشرة أوشية^(١٩)، وهي أحد أهم الإضافات التي لحقت بمقدمة أنافورا القُدَّاس المرقسي، على يد القديس كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م).

← 6 النَّصْف الأوَّل من صلاة الشكر الكبرى يبدأ بقول الكاهن: "لأنه بالحقيقة مستحق وعادل ومقدَّس ولائق ونافع لنفوسنا وأجسادنا وأرواحنا، أيها الكائن السيِّد الرَّب ..."، وتنتهي عند قوله: "... يسوع المسيح، هذا الذي من قبله، نشكر ونُقرب لك معه، مع الرُّوح القُدَّس، الثالوث المقدَّس المساوي غير المفرق، هذه الذبيحة الناطقة، وهذه الخدمة غير الدَّمويَّة هذه التي تُقرَّبها لك جميع الأمم، من مشارق الشَّمس إلى مغاربها، ومن الشَّمال إلى اليمين، لأنَّ اسمك عظيم ياربُّ في جميع الأمم، وفي كلِّ مكان يُقدِّم بخور لاسمك القُدُّوس وصعيدة طاهرة، وعلى هذه الذبيحة وهذا القربان" (هنا تكون الأواشي).

← 6 النَّصْف الثَّاني منها يبدأ بقول الشَّماس: "أيها الجلوس قفوا"، ويتخلَّله مرثى "وإلى الشَّرْق انظروا". وينتهي بقول الكاهن: "... لأن في كلِّ زمان يُقدِّسك كلُّ أحد. لكن مع كلِّ من يُقدِّسك، اقبل تقديسنا منَّا نحن أيضاً ياربُّ، إذ نُسبِّحك معهم قائلين". فيقول الشَّماس: "نصت". فيقول الشعب: "قُدُّوس قُدُّوس ... الخ".

* * *

لقد كانت الرِّغبة العامة في الكنائس، هي إدخال الطَّلِبَات التَّوسُّليَّة Litany في صلاة الإفخارستية، بعد استحالة القرايين إلى جسد المسيح ودمه الكريمين، لتنال هذه الطَّلِبَات قوتها وفعاليتها من الذبيحة الموضوعية على المذبح.

وهذه الرِّغبة، قد ظهرت أولاً في كنيسة أورشليم، في غضون القرن الثالث الميلادي، حيث تَمَّت فيها فعلاً هذه الممارسة الليتورجية. وهو ما نجد تفسيره الرُّوحي والليتورجي بعد ذلك، في عظات القديس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م)، وبالتحديد سنة ٣٤٨م^(٢٠).

ولكن حتى ذلك الوقت، لم يكن هذا التَّطوُّر قد طال ليتورجية القديس سراييون المصريَّة. فلقد تبنَّت كنيسة الإسكندرية مفهوماً آخر، استقتته من نصوص صلواتها الليتورجية التي ترى أنَّ الحُبز والخمر الموضوعين على المذبح، هما "قُدَّسات سبق وضعها أمام الرَّب على المذبح"^(٢١). ففي مقدمة أنافورا القُدَّاس المرقسي - وفي نصفها الأوَّل بالتَّحديد - يقول النَّص الليتورجي: "لأنَّ اسمك عظيم ياربُّ، في جميع الأمم ... وعلى هذه الذبيحة *θρεια* وهذا القربان". وبعد صلاة الكاهن "أحيوس"، يقول: "... املاً هذه الصَّعيدة *θρεια* (أي: الذبيحة) التي لك ياربُّ بالبركة التي من قبلك، بحول روحك القُدُّوس عليها". ويقول أيضاً بصيغة الماضي: "قرايينك هذه المكرَّمة السَّابق وضعها أمامك، هذا الحُبز، وهذه الكأس ...". وأيضاً: "أنت الذي وضعنا أمام مجدك القُدُّوس قرايينك، ممَّا لك يا أبانا القُدُّوس ...".

فهذه كلها إشارات، ترمي إلى طقس تقديم الحَمَل الذي حفظته كنيسة مصر، طقساً سرائرياً كاملاً، فُقدت أصوله الأولى من الكنائس الأخرى. ولذلك فقد ألحقت الطَّلِبَات التَّوسُّليَّة Litany في ليتورجية القديس مرقس، في مقدمة الصَّلاة الإفخارستية، وقبل التَّسبحة السِّيرافيميَّة. كما نجد أنَّ الأواشي في قُدَّاس القديس سراييون أُسِّف تمويس في القرن الرابع، تأتي فيه في البداية أيضاً قبل أن تبدأ مقدمة الأنافورا.

وإنَّ اختلاف الكنائس في أمر هذه الأواشي، هو اختلافٌ كامل. فكنيسة روما، قد ألحقت هذه الطَّلِبَات التَّوسُّليَّة Litany في مقدمة الصَّلاة الإفخارستية، ولكن بعد التَّسبحة السِّيرافيميَّة، باستثناء الطلبة من أجل المنتقلين، والتي ألحقت بنهاية

١٩- وهي أواشي: (١) السَّلامَة (أو بالحري السَّلام). (٢) المرضي. (٣) المسافرين. (٤) مياه التَّهر، أو الزُّروع، أو أهوية السَّماء. (٥) الملك. (٦) المجمع والتَّرحيم (وهو بمثابة أوشية الرَّاقدِين). (٧) القرايين. (٨) البطريك. (٩) الأساقفة. (١٠) بقية الأرثوذكسيين. (١١) الموضوع. (١٢) القيام والمشاركين في الطلبة. (١٣) الذين أمرونا أن نذكرهم. يقول الشَّماس: اسجدوا لله بخوف ورعدة. (١٤) الخدم. (وهي تقال سرّاً. وبدايتها: "أذكر ياربُّ نفسي الضَّعيفة الشَّقِيَّة ..."). (١٥) الاجتماعات.

20. Gregory Dix, Dom, *op. cit.*, p. 171.

21. *Ibid.*, p. 171.

القُدَّاس. وفي كنيسة إديسًا - الرُّها - أُلحقت هذه الطُّلِّبات قبل التَّقديس مباشرة. وهكذا لم يكن هناك اتفاق عام بخصوصها بين مختلف الكنائس.

وعموماً، فإنَّ ما يميِّز التَّقليد الإسكندري عن التَّقليد الأنطاكي في هذه الجزئية، هو أنَّ الأواشي في القُدَّاس ذي التَّقليد الإسكندري، تأتي في البداية، كما في القُدَّاس المرقسي، وقُدَّاس القُدَّيس سراييون. ولكنَّها في القُدَّاس ذي التَّقليد الأنطاكي، تأتي في النهاية، كما في القُدَّاسين الباسيلي والغريغوري القبطيين.

ولقد جرت أكثر من محاولة لتطويع العناصر الليتورجية للقُدَّاس المرقسي، لكي تتماشى مع ما يناظرها في القُدَّاسين الباسيلي والغريغوري، وهذا أمر يدعو إلى الغرابة، أن نستغني عن هويتنا القبطية في أعز ما نملك، وهو القُدَّاس المرقسي. وكان الترتيب الأول، في الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م. الترتيب الثاني: ترتيب البابا مكاريوس الثالث (١٩٤٢-١٩٤٥م) البطريرك ال ١١٤ من بطاركة الكنيسة القبطية. الترتيب الثالث: ترتيب المتنيح الأبا ديسقوروس أسقف المنوفية السابق سنة ١٩٦٨م. الترتيب الرابع: ترتيب القس كيرلس كيرلس سنة ١٩٧٩م!

← 7 ملاحظات عامة على بعض الأواشي

(١) أوشية سلام الكنيسة

← 7 تأتي أوشية سلام الكنيسة في القُدَّاس المرقسي: "أذكر ياربُ سلام كنيستك المقدسة الواحدة الجامعة الرسولية".

(22) Μνησθητι, Κύριε τῆς ειρήνης, τῆς ἁγίας, μόνης, καθολικῆς καὶ ἀποστολικῆς σου Ἐκκλησίας.

• تنفرد الليتورجية القبطية سواء في نصها اليوناني أو نصها القبطي، باحتفاظها بأقدم صفة من صفات الكنيسة، وهي صفة "الواحدة أو الوحيدة - μόνη" (23)، فتأتي صفات الكنيسة في هذه الأوشية بحسب التَّقليد القبطي هكذا: "المقدسة الواحدة الجامعة الرسولية":

وقد وُجدت هذه الصفة - أي الواحدة أو الوحيدة - في الكتابات الليتورجية القديمة. ففي قُدَّاس القُدَّيس سراييون، صلاة من أجل الثمار تقول: "كرِّمَ τίμησον كنيستك المقدسة الواحدة μόνη الجامعة الرسولية الأرثوذكسية".

أما النص القبطي لهذه الأوشية كما يرد في مخطوطات الخولاجيات، فيورد للكنيسة صفة "الواحدة الوحيدة - ΤΕΚΟΝΙ - μίαντες". وفي أقدم خولاجي قبطي عربي كامل، وهو مخطوط الفاتيكان رقم (١٧ قبطي/ ١٢٨٨م)، يرد النص هكذا: "أذكر ياربُ سلامة واحدتك الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية، البيعة" (24). وهو النص الذي تُرجم في خولاجي سنة ١٩٠٢م إلى: "أذكر ياربُ سلامة كنيستك الواحدة الوحيدة ...".

وليس هناك فرق بين صفة "الواحدة"، وصفة "الوحيدة". فهي صفة متكررة للتأكيد عليها فحسب. ويظلُّ مرد الشَّماس في نصه اليوناني، محتفظاً بصفة واحدة من هاتين الصفتين، حين يقول: "صلوا من أجل سلام الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية الأرثوذكسية كنيسة الله".

← 7 وأودُّ هنا أن أوردُ نصاً بديعاً عميقاً شاملاً لأوشية من أجل الكنيسة كلها، يورده خولاجي سراييون، يقول:

"ياربُّ إله الدهور، يا إله الكائنات العاقلة (25)، والنُّفوس النَّقية، ونفوس الذين يدعونك بإخلاص وصفاء ... هب لكنيستك أن تكون حيَّة طاهرة، وأن تتحلَّى بالفضائل السَّماوية، وأن يكون الملائكة القُدِّيسون في خدمتها، حتى يتسنَّى لها أن تُسبِّحك في الطُّهارة.

22- Cf. also, *Liturgica S. Bassilli alexandrina*, PG 31, p. 1629.

23- Burmester, O.H.E. Khs, *The Baptismal Rite of the Coptic Church*, dans *Bulletin de La Société d'Archéologie Copte (BSAC)*, t. 11, 1945, p. 71.

24- لاحظ التَّرجمة الحرفية من القبطية إلى العربية.

25- سيراخ ١٧:٣٦ ؛ عدد ٢٢:١٦

نتوسَّل إليك من أجل جميع أعضاء هذه الكنيسة، امنحهم جميعاً روح المصالحة، واغفر لهم خطاياهم. هب لهم ألا يخطئوا أبداً. كُن سوراً حصيناً لهم، وابعدهم عن جميع التجارب. ارحم الرجال والنساء والأطفال. أظهر ذاتك للجميع، ولستكن معرفتك مكتوبة في قلوبهم^(٢٦)، هذا ما نطلبه إليك بوحيك يسوع المسيح، الذي به يليق بك المجد والقدرة، الآن وإلى أبد الدهور. آمين“ (حولاجي سراييون ١٠: ١-٤).

8< (٢) أوشية الرقادين أي المجمع

في قُدَّاس القديس سراييون لا ذكر لأوشية رقادين في بدء القُدَّاس، باستثناء عبارة تختص بكل خُدَّام الكنيسة، هي: ”نبيح كل خُدَّام الكنيسة، وأعط الجميع رحمة ورافة“. أمَّا ما ورد عن الرقادين بعد الاستدعاء قرب نهاية القُدَّاس، فإنه تذكُّر وطلبية من أجل الرقادين، ويسبقها مباشرة طلبية من أجل الأحياء، لذلك نقراً: ”نتوسَّل أيضاً^(٢٧) من أجل كل الذين رقدوا...“. أي أنه بعد الاستدعاء، تكون الذبيحة، أي الطلبية من أجل الأحياء والراقدين. وأمَّا في القُدَّاس المرقسي، فيأتي المجمع بين الأواشي التي تُقال في منتصف ”مقدِّمة صلاة الشُّكر الكبرى“، كأوشية للراقدين وعنوانه هو: ”من أجل الرقادين - Περὶ τῶν κοιμηθέντων“. وبداية النص هو: ”آباؤنا وإخوتنا الذين رقدوا، إذ قبضت نفوسهم، نرحمهم. ذاكراً أيضاً جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء. آباءنا الأطهار رؤساء الآباء والأنبياء والرُّسل ... الخ^(٢٨)“.

والتَّرحيم الذي يُقال في القُدَّاس المرقسي باللَّحن الطَّويل، والذي بدايته: **ὄσιος ναὶ** ”هؤلاء وكلُّ أحد...“، يحدِّد الطلبية من أجل الذين رقدوا وتنبَّحوا في إيمان المسيح. وجدير بالذكر هنا، أن هذا اللحن البديع هو واحد من لحنين فقط، تبقى لنا من كل ألحان القُدَّاس المرقسي!!

8< أمَّا نصُّ المجمع بحسب المخطوط الذي اكتشفه العالم جان دوريس Jean Doresse (١٩١٧-٢٠٠٧م) ونشره مع الأب عمانوئيل لان E. Lanne (١٩٢٣-٢٠١٠م) في لوفان (بلجيكا) سنة ١٩٦٠م^(٢٩) وهو مخطوط جرت نساخته في القرن السابع الميلادي لأقدم نص قبطني صعيدى للقُدَّاس الباسيلي معروف حتى الآن، فهو: ”وحيث أن هذا ياربُّ هو أمرُ ابنك الوحيد، أن نشترك في تذكُّر قديسيك، تفضَّل ياربُّ أن تذكر آباءنا الذين أرضوك منذ الدهر. رؤساء الآباء والأنبياء والرُّسل والشُّهداء والمعترفين والمبشِّرين والإنجيليين، وكلَّ صديقٍ أكمل حياته في الإيمان. وبالأكثر القديسة المملوءة مجداً، العذراء كلِّ حين، مريم التي ولدت الله، التي بصلواتها ارحمنا جميعاً وخلصنا من أجل اسمك القدوس، الذي دُعي علينا“.

وواضحٌ أن المجمع يُختم بنفس العبارة التي نختم بها المجمع المطوَّل، الذي نعرفه اليوم، وهي: ”من أجل اسمك ... علينا“.

٢٦- عبرانيين ١٠: ٨

٢٧- كلمة ”أيضاً“ هنا، تعني الانتقال من صلاة إلى صلاة أخرى، أمَّا الصَّلَاة السَّابِقة لهذه الطلبية، فهي: ”إننا ندعوك أنت غير المولود بابنك الوحيد في الرُّوح القُدَّس، ليرحم هذا الشُّعب، وليستحق النمو، وترسل ملائكة ليكونوا حاضرين مع الشُّعب لإبادة الشرير، وتثبيت الكنيسة“ (١٦: ١٣).

٢٨- بحسب مخطوط كسمارسك، ينتهي المجمع بعد ذكر يوحنا المعمدان والشَّهيد إسطفانوس، ومرقس الرسول، ثمَّ يقول: ”والقُدَّاس (فلان) الذي نكمل تذكُّاره في هذا اليوم. وكل مصاف قديسيك“.

29- J. Doresse and E. Lanne, *Un témoin archaïque de la liturgie copte de S. Basile*, dans Bibliothèque du Muséon, vol. 47, Louvain, 1960, p. 8-9.

أودع هذا المخطوط في مكتبة جامعة لوفان، ولكن مع الأسف احترق هذا المخطوط مع مخطوطات أخرى نتيجة حريق شبَّ في مايو سنة ١٩٤٠م في المكتبة المذكورة. وكان قد تمَّ تصوير هذا المخطوط قبل أن يحترق، ونُشر سنة ١٩٦٠م مع ترجمة النص القبطي إلى اللغتين اللاتينية واليونانية، ومقارنة النصِّ بباقي النصوص الخاصة بالقُدَّاس الباسيلي باللغات اليونانية والقبطية الصَّعيدية والبحيرية والإثيوبية والأرمينية، مع نصوص الليتورجيات الأخرى القديمة المقابلة.

J. Doresse et E. Lanne, *op. cit.*, p. 7-10.

ولقد بذل العالم دوريس Doresse قصارى جهده، للعثور على بقية المخطوط، ولكنه لم يُوفِّق في ذلك. ولقد أثبت العلماء الذين حقَّقوا المخطوط، أن النص نفسه يرجع إلى النصف الأوَّل من القرن الرابع الميلادي. وهو بذلك، يُعتبر أقدم نص معروف حتى الآن للقُدَّاس الباسيلي باللُّغة القبطية الصَّعيدية.

..εΤΒεπεκραν ετοϋαδβ ηταϋτατοϋ εζωη⁽³⁰⁾

والجمع في صيغته المختصرة هذه، هو وثيقة ليتورجية بالغة الأهمية، وإن كانت قد وصلتنا منسوخة في القرن السابع الميلادي، إلا أنها ترقى بلا جدال إلى ما قبل ذلك بقرون أخرى على الأقل. وحين يأتي الجمع بهذه الصورة الأولى والشاملة في آن معاً، بنفس بدايته ونفس نهايته التي نعرفها في الكنيسة حتى اليوم، يتأكد لدينا أن اسم العذراء القديسة مريم هو الاسم الوحيد بين القديسين الذي ظلّ يُذكر علانية، بينما يضم الجمع كل امتلاء الكنيسة الواحدة، ولكن بدون ذكر لأسماء دون غيرها، ومن هنا كان - على صغره - شاملاً لكل أعضاء الكنيسة بلا تفریق أو انتقاء. بل صار شاملاً لكل صديق أكمل حياته في الإيمان.

وهو يعطينا فكرة أيضاً، عن أن إضافة أسماء القديسين والبطاركة إلى جانب اسم العذراء القديسة مريم، كان على مراحل متتابعة، ربما تستغرق المرحلة الواحدة بضعة قرون.

فالنص اليوناني للقدّاس الباسيلي الذي نشره رونودوت E. Renaudot عن مخطوط يعود إلى القرن السابع عشر، هو في الحقيقة مرحلة متطورة تالية لنصّ الجمع في مخطوط دوريس Jean Doresse (١٩١٧-٢٠٠٧م) السابق الإشارة إليه^(٣١).

أما النصّ فهو:

”لأنّ هذا يا ربُّ أمر ابنك الوحيد، أن نشترك في تذكّار قديسيك. تفضّل يا ربُّ أن تذكّر الذين أرضوك منذ الدهر، آباءنا القديسين البطاركة والرسل والأنبياء والمبشّرين والإنجيليين والشهداء والمعترفين. وكلّ روح بارة، تكملت في إيمان المسيح. وبالأكثر كُليّة القداسة المملوءة مجداً، فائقة النقاوة، المباركة جداً، سيّدتنا والدة الإله مريم دائماً البتولية. والقديس يوحنا المعمدان المجدد والنبي السابق والشهيد. والقديس إسطفانوس أوّل الشمامسة وأوّل الشهداء. والقديس المكرّم أبانا مرقس الرسول والإنجيلي. وأبانا في القديسين صانع العجائب باسيلوس. والقديس (فلان) الذي نُكمل تذكّاره في هذا اليوم. وكلّ مصاف قديسيك. هؤلاء الذين بصلواتهم وشفاعتهم، ارحمنا نحن أيضاً وخلصنا من أجل اسمك القدوس، الذي دُعي علينا“.

وهنا نلاحظ نفس البداية ونفس النهاية للمجمع، مع إضافة يوحنا المعمدان، والقديس إسطفانوس، ومار مرقس الكاروز، والقديس باسيلوس صاحب القدّاس الذي نُصلي به. ثمّ قديس اليوم.

ولا يخفى علينا ذكر الجمع لعبارة: ”وكلّ روح صديق تكملت في إيمان المسيح“، والتي توازي ”وكلّ صديق أكمل حياته في الإيمان“، كما في مخطوط دوريس Jean Doresse (١٩١٧-٢٠٠٧م)، والتي توازي ما نقوله اليوم: ”وكلّ أرواح الصديقين الذين كملوا في الإيمان“.

الكنيسة تُصلي من أجل القديسين المنتقلين لارتقائهم في المجد، ولكي ينالوا خيرات مواعيد الله، هذه التي أعدّها لحبي اسمه القدوس، وليستحقوا ملكوت السموات.

←8 ويظهر لنا في ليتورجية القديس سراييون، وبكل وضوح، السبب الذي لأجله تُصلي الكنيسة من أجل القديسين، فتقول الليتورجية: ”تنوّل أيضاً من أجل كل الذين رقدوا، الذين تذكّارهم هو^(٣٢): قدّس هذه النفوس، لأنك تعرف الكل. قدّس كل النفوس التي رقدت في الربّ^(٣٣)، احسبهم مع كل قوّاتك المقدّسة، وأعطهم موضعاً ومسكناً^(٣٤) في ملكوتك“.

هذا هو مجمع القديسين في القدّاس الإلهي في صورته القديمة جداً التي عرفتها كنيسة مصر.

30. J. Doresse and E. Lanne, *op. cit.*, p. 26.

٣١- انظر ص ٩ والحاشية رقم ٢٩

٣٢- هنا تُذكر الأسماء.

٣٣- رؤيا ١٤:١٣

٣٤- يوحنا ١٤:٢٠

9 ← (٣) أواشي الآباء

أوشية الآباء هي في الحقيقة أوشية من أجل البابا البطريرك. فهكذا يرد نصّها في أقدم الخولاجيات^(٣٥)، بل ومعظم مخطوطات الخولاجيات الأكثر حداثة. وفي القدّاس المرقسي (الكيرلسي) تأتي أوشية الآباء على قسمين، أوشية من أجل البطريرك فقط. أمّا عنوان هذه الأوشية في خولاجي سنة ١٩٠٢م فهو: ”ههنا لا يُذكر اسم الأساقفة، بل يُذكر اسم البطريرك فقط“^(٣٦). وأوشية ثانية تتبعها من أجل الأساقفة والقسوس والشمامسة وكلّ رتب الكنيسة.

9 ← أوشية من أجل البطريرك فقط

يقول الكاهن في القدّاس المرقسي: ”بطريركنا الأب المكرم أنبا فلان“. ولقد اعتادت الكنيسة في أوشية الآباء في القدّاسين الباسيلي والغريغوري، أن تضيف اسم أسقف الإيبارشية بعد اسم البابا البطريرك. في حين ظلّ مرد الشمّاس في أصوله القديمة، يُرد هكذا: ”صلّوا من أجل رئيس كهنتنا البابا (فلان) بابا و بطريرك ورئيس أساقفة المدينة العظمى الإسكندرية، وأساقفتنا الأرثوذكسيين“، دون ذكر اسم أسقف بعينه. كما يُظنُّ أنّ عبارة: ”وأساقفتنا الأرثوذكسيين“، هي عبارة مضافة على النصّ القديم للمرد. كما أنّ تكلمة الكاهن للأوشية بعد المرد، تأتي بصيغة المفرد، حيث يقول: ”حفظاً أحفظه لنا سنين كثيرة، وأزمة سلامية...“. فالطلبة هنا منصّبة على البابا البطريرك وحده. وفي ختام الأوشية، يرد ذكر ”جميع الأساقفة الأرثوذكسيين، والقمامصة، والقسوس، والشمامسة، وكلّ امتلاء كنيستك الواحدة (الوحيدة) المقدّسة الجامعة الرسولية“.

أمّا إضافة اسم الأب الأسقف بعد البابا البطريرك، فيأتي في نصّ ليتورجي بسيط، هو: ”وأبانا الأسقف أنبا (فلان) – **Νεμ περιωτ η̅πισκοπος αββα η̅μ** ” وفي بعض النسخ بدل ذلك يُقال: وشريكه في الخدمة، أبانا الأسقف أنبا (فلان) – **Νεμ περκεϋφηρ η̅λιτοϋργος** . ولكن في أكثر النسخ يُذكر البطريرك فقط. وأمّا ذكر الأسقف، فإنما يكون في بعض الخولاجيات، وفي أماكن منها دون أماكن“^(٣٨).

9 ← أوشية من أجل الأساقفة وكلّ طغمت الكنيسة في القدّاس المرقسي

يقول الكاهن: ”أذكر يارب الأساقفة الأرثوذكسيين الذين في كلّ موضع ... والقسوس والشمامسة والإيودياكونين والأغنسطسين والمرتلين والقراء والرهبان والعداري والأرامل والأيتام والتسّاك والعلمانيين والمتّحدين بالزّيجة ومرّبي الأولاد، الذين قالوا لنا اذكرونا والذين لم يقولوا، الذين عرفهم والذين لا نعرفهم، أعداءنا وأحبّاءنا، اللّهم ارحمهم“. ما هذا الإبداع؟ وهنا أوّد الإشارة إلى ذكر القراء، ومفردها ”قراء“ Exorcist – εξοργιτης و ”القراء“ هو المعزّم، والذي كان منوطاً به الصّلاة على من بهم الأرواح الشريرة لطردها بحسب الموهبة التي نالها من الله.

ويرد ذكر هؤلاء القرائين في القدّاس الغريغوري أيضاً، فيقول الكاهن: ”... الأغنسطسين (القارئ) والمرتلين والقرائين“^(٣٩) والرهبان والعداري والأرامل والأيتام والمتنّسكين والعلمانيين وعن كلّ امتلاء بيعتك المقدّسة يا إله المؤمنين“. ولكن ذكرهم قد سقط من القدّاس الباسيلي القبطي.

٣٥- مثل مخطوط الفاتيكان رقم (١٧ قبطي)، ومخطوط أكسفورد رقم (٣٦٠ هنت).

٣٦- كتاب الخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٦١٣

٣٧- يورد خولاجي سنة ١٩٠٢م مرد الشمّاس بهذا النصّ الليتورجي البسيط: ”... وأبينا الأسقف أنبا (فلان)“ (ص ٢٨٢، هامش ١).

٣٨- كتاب الخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٢٨١

٣٩- القراون Πιεζοργιτης أي المعزّمون، وهي من أقدم الوظائف غير الكهنوتية في الكنيسة.

← 10 ثالثاً: التَّسْبِحة السِّيرافيميَّة

إنَّ استخدام التَّلاثَة تقديسات في القُدَّاس المرقسي مسبوقة بمقدِّمة لها قريبة الشَّبه جداً من إيفخارستية سراييون، وهو ما وجدناه في الجدول السَّابق، نجد آثارها الأوَّليَّة في كتابات العالمة أوريجانوس المصري (١٨٥-٢٥٤م) في غضون سنة ٢٣٠م. وهي أوَّل إشارة محدَّدة، لاستخدام هذه التَّسْبِحة في الليتورجيا المسيحيَّة عموماً.

والتَّسْبِحة السِّيرافيميَّة كانت شائعة ومعروفة في الأدب المسيحي المبكر. أمَّا كونها نصاً ليتورجياً يُقال في داخل الليتورجيا، فأوَّل استخدام لها كان في كنيسة الإسكندرية، وبالتَّحديد في القُدَّاس المرقسي، وقُدَّاس القُدَّيس سراييون. فهي إحدى العناصر الليتورجيَّة المصريَّة الأصيلَّة التي انتقلت إلى ليتورجيَّة كنيسة أورشليم^(٤١)، إذ أشار إليها القُدَّيس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م) في عظته التَّالِثة والعشرين.

ويشهد البابا أناسيوس الرُّسولي (٣٢٨-٣٧٣م)، أنَّ استعمال التَّسْبِحة السِّيرافيميَّة، قد شاع في جميع الكنائس، وذلك في رسالته عن التَّالوث!، حين يذكر أنَّ كنائس المسيح قاطبة من الشَّرْق إلى الغرب، تعترف في تقريب الأسرار (أي في الليتورجيا)، بأنَّ السِّيرافيم يجلِّلون الآب بكلِّ حق.

أمَّا مرد التَّسْبِحة السِّيرافيميَّة في صورته القديمة جداً^(٤١) فهو: ”قُدُّوسُ قُدُّوسُ قُدُّوسُ رَبُّ الصِّبَاوُوت“^(٤٢). بدون آية إضافات أُخرى.

← 10 ويتفق كلُّ من قُدَّاس القُدَّيس سراييون والقُدَّاس المرقسي^(٤٣) بمرد التَّسْبِحة السِّيرافيميَّة هكذا: ”قُدُّوسُ قُدُّوسُ قُدُّوسُ رَبُّ الصِّبَاوُوت، السَّماءُ والأرضُ مملوءتان من مجدك“. بدون وصف لهذا ”المجد“.

فيلتقط الكاهن، كلمات المرد من الشَّعب، ليضيف بقوله في قُدَّاس القُدَّيس سراييون: ”السَّماءُ والأرضُ مملوءتان من مجدك المهبوب جداً...“. أو يضيف بقوله في القُدَّاس المرقسي: ”السَّماءُ والأرضُ مملوءتان من مجدك المقدَّس أيها الرُّبُّ إلهنا“^(٤٤) من قبل (ظهور)^(٤٥) ابنك الوحيد...“.

والجدير بالذِّكر هنا، أنَّ الطَّقْس الأورشليمي والطَّقْس الأنطاكي والطَّقْس البيزنطي وطقس روما، يضيف بعد التَّسْبِحة السِّيرافيميَّة، العبارة التَّالِية: ”أوصنا في الأعلى. مباركُ الآتي باسم الرُّبِّ“.

ويقرُّ علماء الليتورجيا، أنَّ التَّسْبِحة المصريَّة التي لا تحتوي على هذا الجزء المضاف: ”مباركُ الآتي ... الخ“، هي تسبحة أصيلة تميِّز بها الإيفخارستية القبطية. ويمكن ملاحظة ذلك في قُدَّاس سراييون، وقُدَّاس القُدَّيس مرقس الرُّسول، وكذلك بردية عُثر عليها في دير البلايزا بالقرب من أسيوط، ويرجع تاريخ نساختها إلى القرن السَّادس الميلادي، أمَّا النَّص نفسه، فيرجع إلى القرن التَّالِث أو الرَّابِع على أقصى تقدير^(٤٦).

← 11 رابعاً: مضمون الصَّلوات الليتورجيَّة بعد أجوس، وقبل كلمات التَّأسيس

إنَّ مضمون الصَّلوات الليتورجيَّة بعد أجوس، وقبل كلمات التَّأسيس، قد أخذ اتجاهين؛ الاتجاه الأوَّل في كلِّ الليتورجيات خارج مصر، والاتجاه الثاني يختص بالليتورجيا ذات السمات المصريَّة الخالصة فقط.

40. Cuming, *Egyptian Elements in the Jerusalem Liturgy*, in *JTS* 25, (1974), p. 117-124.

٤١- وذلك بحسب النَّص اليوناني للقُدَّاس الباسيلي القبطي، الذي أورده العالم رنودوت E. Renaudot.

42- PG 31, p. 1636C.

٤٣- وذلك في نصِّ اليوناني بحسب بردية دير البلايزا بالقرب من أسيوط، ويرجع تاريخ نساختها إلى القرن السَّادس الميلادي، أمَّا النَّص نفسه، فيرجع إلى القرن التَّالِث أو الرَّابِع على أقصى تقدير.

٤٤- هذه العبارة ”السَّماءُ والأرضُ ... الرُّبُّ إلهنا“ تتكرَّر مرَّتين في النَّص القبطي للقُدَّاس.

٤٥- كلمة ”ظهور“ لا تعرفها التَّرجمة القبطية للنَّص. بل تأتي في النَّص اليوناني فقط.

46- Robert, C.H., & Capelle, Dom B., *An Early Euchologium*, Louvain 1949.

← 11 • **أما الاتجاه الأول**، فهو حينما يأخذ الكاهن من فم الشعب الكلمات الأولى للتسبحة السيرافيمية: ”قُدَّوس قُدَّوس قُدَّوس...“، موجهًا الخطاب إلى الله الآب قائلاً: Ἀγίος (أجيوس) أي: ”قُدَّوس...“، أو تعزيز هذا التقديس للآب، بإضافة كلمة Ἀληθῶς (ألثوس) أي ”بالحقيقة“، لتصبح مقدّمة الصلاة هي: ”قُدَّوس بالحقيقة“، كما في القُدَّاس الباسيلي القبطي، أو ”قُدَّوس في كل شيء“ كما في القُدَّاس الغريغوري القبطي.

ويتبع هذا الاتجاه الأول، طقس الغال^(٤٧)، والطقس الموزارابي^(٤٨)، والطقس الأنطاكي الذي يمثله ليتورجية القُدَّيس يعقوب أخي الرب، وأيضاً الليتورجية البيزنطية التي تبدأ بكلمة ”قُدَّوس“، ولكن سبقتها بعبارة تستأنف ما سبق أن ذكره الخوروس الملائكي، فتقول: ”مع هذه القوآت المغبوة أيها السيّد احب للبشر، هتف نحن أيضاً، ونقول: قُدَّوس أنت وكلّي القداسة...“. وهو ما نجده أيضاً في قُدَّاس القُدَّيس يوحنا ذهبي الفم، ولكن باختصار أكثر.

← 11 وتسرّد الليتورجيات التي تتبع هذا الاتجاه الأول، تاريخ الخلاص ابتداءً بالخلق، مروراً بالسُّقوط، ثمّ التَّجسُّد، ثمّ الآلام، ثمّ القيامة من بين الأموات، ثمّ الصُّعود إلى السَّموات، ثمّ الجلوس عن يمين الآب، وانتهاءً بالجيء الثاني من السَّموات للمجازاة. وهنا يكون مرد الشعب: ”كرحمتك يارب، وليس كخطايانا“.

وحديرٌ بالذكر هنا، أنه طبقاً للنص اليوناني لمخطوط باريس رقم (٣٢٥ يونانيات)، والذي نشره العالم رُنودو E. Renaudot نجد أنّ القطعة التي تبدأ ب: ”قُدَّوس قُدَّوس قُدَّوس بالحقيقة أيها الرب إلهنا...“ وتنتهي قبل المرد ”كرحمتك يارب وليس كخطايانا“ هي قطعة متصلة، لا يفصلها المردان: ”أمين“، و”حقاً أو من“، واللذان يفصلان حالياً هذه القطعة إلى ثلاث قطع.

وإن عدنا إلى مخطوط الفاتيكان رقم (١٧ قبطي / ١٢٨٨ م)^(٤٩)، الذي يورد أقدم ترجمة عربية كاملة للنص القبطي للقدّاسات القبطية، نجده يؤيد ما سبق ذكره للتو، إذ لا وجود للمردّين السابق ذكرهما، أي ”أمين“، و”حقاً أو من – Διην τῆρας“. ومن المعروف أنّ هذا المرد الأخير يفصل بين قول الكاهن: ”نزل إلى الجحيم من قبل الصليب“، وبين قوله: ”وقام من بين الأموات...“. ولا يخفى أنّ هذا المرد الأخير يأتي بصيغة المفرد وليس بصيغة الجمع، خلافاً لباقي المردّات الأخرى، على اعتبار أنّ مردّات الشعب هي مردّات تحتص بالشعب كلّه، وليس بواحد منهم فحسب، ممّا يعني أنه مردٌ حديثٌ لم يكن يعرفه الطقس القبطي القديم.

ثمّ تنتقل الليتورجياً إلى كلمات التأسيس، أي تقديس الخبز والخمر، وذلك ابتداءً من قول الكاهن: ”ووضع لنا هذا السرّ العظيم الذي للتقوى...“، كما في القُدَّاس الباسيلي القبطي، أو ”أقدم لك يا سيّدي مشورات حرّيتي...“، كما في القُدَّاس الغريغوري.

← 11 • **أما الاتجاه الثاني**، وهو ما نراه في الطقس الإسكندري الأصيل دون غيره من الطقوس الأخرى، ممثلاً في ليتورجية القُدَّيس مرقس الرُّسول (القُدَّاس الكيرلسي)، وليتورجية القُدَّيس سراييون الأسقف، فهو الانتقال المباشر إلى كلمات التأسيس بعد التسبحة السيرافيمية، بدون سرد لتاريخ الخلاص.

← 11 ولكن الدخول إلى كلمات التأسيس، يسبقه عبارة موجزة، تربط بين مضمون التسبحة السيرافيمية وبدء كلمات التأسيس.

← 12 ففي القُدَّاس المرقسي، تكون هذه العبارة: ”... بالحقيقة السَّماء والأرض **مملوءتان** من مجدك المقدّس من قبل

٤٧- ليتورجية بلاد الغال لا تعرف عنها سوى القليل. وبمكنا تكوين فكرة عن هذه الليتورجية من الإشارات التي وردت عنها في عظات القُدَّيس سيزر أسقف أرل César d'Arles وغريغوريوس أسقف تور Grégoire de Tours من القرن السادس. وكذلك من بعض الجامع. بالإضافة إلى تفسير القُدَّاس الغالي، والمنسوب خطأً إلى القُدَّيس جرمان German من باريس، والذي يعطينا وصفاً لشكل متأخّر لهذه الليتورجية، يعود إلى نهاية القرن السابع أو القرن الثامن للميلاد. ولدينا كُتب قراءات لهذه الليتورجية، ولكنّها غير متكاملة. أمّا كُتب الصلوات الخاصة بهذا الطقس فقد تأثرت هي الأخرى بالليتورجية الرومانية والطقس الروماني. وبنية هذه الليتورجية الغالية، ذات علاقة وطيدة بليتورجية إسبانيا القديمة.

٤٨- نقصد بتعبير الطقس الموزارابي Le rite Mozarabe أي الطقس الإسباني القديم.

٤٩- وهو نفس ما يذكره مخطوط أكسفورد رقم (٣٦٠ هنت).

(ظهور) ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكننا كلنا، يسوع المسيح. املاً هذه الصَّعيدة (أي الذبيحة) التي لك ياربُ بالبركة التي من قبلك بحلول روح القدس عليها. وبالبركة بارك، وبالتطهير طهر قرايينك هذه المكرمة، المبدوء بوضعها أمامك، هذا الخبز، وهذه الكأس“ (٥٠).

وهو نفس ما نجد تماماً في قُدَّاس القُدَّيس سراييون. إذ بعد التَّسبحة السِّيرافيمية مباشرة، يقول الكاهن: ”السَّماء والأرض مملوءتان من مجدك المهبوب جداً. ياربَّ القوَّات، املاً أيضاً هذه الذبيحة بقوَّتكَ ومشاركتك، لأننا قدَّمنا هذه الذبيحة الحيَّة، والتَّقدمة غير الدِّمويَّة“ (٥١).

ويتَّضح أمامنا هذا الانتقال على أدق صورة في بردية دير البلايزا، إذ بعد أن يقول الكاهن: ”قُدوسٌ قُدوسٌ قُدوسٌ ربُّ الصِّبَاووت، السَّماء والأرض مملوءتان من مجدك“، يقول مباشرة: ”املاً نحن أيضاً من مجدك، وتفضَّل وأرسل روحك القدوس ...“.

← 13 وهنا نجد أن الطَّقس الإسكندري، ينتقل من التَّسبيح بمجد الرب الذي يملأ السَّماء والأرض، إلى طلب ملء الذبيحة بالبركة، تمهيداً للدُّخول إلى كلمات التَّأسيس مباشرة، أي تقديس الخبز والخمر.

إذاً فكلمة πλήρωσον (بليروسون) أي ”املاً“، في القُدَّاس المرقسي: ”املاً هذه الذبيحة التي لك ياربُ بالبركة“، أو في قُدَّاس القُدَّيس سراييون: ”املاً أيضاً هذه الذبيحة بقوَّتكَ ومشاركتك“، هي إحدى مميزات الإيفخارستية الإسكندرية.

والبركة في المفهوم الطَّقسي اللاهوتي، تعني التَّقديس. وكون أن الصَّعيدة أو القران، أو الذبيحة، هي كلها مترادفات لكلمة واحدة، إذاً يكون معنى: ”املاً هذه الصَّعيدة بالبركة“، أو ”املاً هذه الذبيحة بقوَّتكَ“، أي ”كَمَل تقديس هذه الذبيحة“.

وتقديس الذبيحة – طبقاً للقُدَّاس المرقسي – يكون ببركة الآب، بفعل حلول الرُّوح القدس عليها. ومن أجل ذلك، يقول الكاهن: ”املاً هذه الصَّعيدة التي لك ياربُ بالبركة التي من قبلك بحلول روح القدس عليها“. وهنا يرشم الكاهن على الصنيئة والكأس معاً، رشماً واحداً. فيجيب الشَّعب: ”أمين“. أمَّا تقديس الذبيحة – طبقاً لقُدَّاس سراييون – فيكون بقوَّة الآب ومشاركته.

إنَّ تكميل الإيفخارستيا، أي طلب ملء الذبيحة: ”املاً هذه الصَّعيدة“، هو بحضور التَّالوث، وعمله فيها. أي بحضور الآب بالبركة، وحضور الابن ذبيحاً على المذبح، وحضور الرُّوح القدس وحلوله عليها. وبذلك تصير الإيفخارستيا هي استعلان ملكوت الله، أي حضور الآب والابن والرُّوح القدس، على القرابين الموضوعة على المذبح.

← 13 إنَّ استدعاء الرُّوح القدس لتقديس القرابين قبل كلمات التَّأسيس – أي تقديس الخبز والخمر – في القُدَّاس المرقسي هو سمة مصرية قديمة لا نجد لها نظيراً في القُدَّاس الباسيلي والقُدَّاس الغريغوري القبطيين.

← 13 ولم يكن القُدَّاس المرقسي وحده هو الذي أشار إلى الاستدعاء في هذا الوقت المبكر من الليتورجيا وقبل التَّأسيس، لأنَّ قُدَّاس سراييون قد أشار هو الآخر إلى ذلك، بقوله: ”املاً أيضاً هذه الذبيحة بقوَّتكَ ومشاركتك، لأننا قدَّمنا هذه الذبيحة الحيَّة، والتَّقدمة غير الدِّمويَّة“.

٥٠- هذا هو الاستدعاء الثاني في القُدَّاس المرقسي بعد التَّسبحة السِّيرافيمية مباشرة، وقيل كلمات التَّأسيس أي كلمات التَّقديس. وكان الاستدعاء الأول في طقس تقديم الحمل. أمَّا الاستدعاء الثالث، فهو: ”أرسل إلى أسفل من علوك المقدَّس ... روحك القدوس ... علينا، وعلى هذه القرابين التي لك، المكرمة السابق وضعها أمامك، على هذا الخبز، وعلى هذه الكأس، لكي يتطهرا (ويتنقلا)“. والتَّص اليوناني للقُدَّاس المرقسي، يقول: ”... لكي يتباركا، ويتقدَّسا، ويتكَمَّلا“. فلا وجود هنا لكلمة ”يتنقلا“. وهذا أمر يلزم تداركه. أمَّا الاستدعاء الرابع وهو يعقب الاستدعاء الثالث مباشرة، فهو لطلب حلول الرُّوح القدس، ليجعل الخبز جسداً للمسيح، والخمر دمًا له. ويتندى بقول الشَّمَّاس: ”ننصت“. فيقول الكاهن جهراً: ”وهذا الخبز يجعله جسداً مقدَّساً له ... وهذه الكأس أيضاً دمًا كريماً للعهد الجديد الذي له“. ويجيب الشَّعب: ”أمين“.

Cf. Macomber, W.F., *The Anaphora of Saint Mark according to the Kacmarcik codex*, in OCP 45 (1979), p. 96.

51- Baumstark, A., *op. cit.*, p. 89, 90.

← 14 الرِّباط المحكم للنَّص الليتورجي لقُدَّاسي مرقس الرُّسول وسراييون الأُسقف، وعلاقته بما تمَّ في طقس تقديم الحَمَل

← 14 إنَّ ذكر تعبير ”الذَّبِيحَة غير الدَّمويَّة“ في هذه اللَّحظة بالذَّات، أي قبل كلمات التَّأسيس، هي خاصيَّة تُميِّز بعض نصوص الصَّلوات الليتورجيَّة في كنيسة مصر^(٥٢). وليس هذا فحسب، بل هناك تعبير: ”الذَّبِيحَة الحيَّة“ في هذه المرحلة من الصَّلاة الإيفخارستية في قُدَّاس سراييون، وهو تعبيرٌ قاطع بدون أي نوع من الحذر أو المواربة.

ولقد اعترف الأب جريجوري دكس G. Dix (١٩٠١-١٩٥٢م) بارتباكه في شرح تعبير ”الذَّبِيحَة غير الدَّمويَّة“ و”الذَّبِيحَة الحيَّة“. ولما لم يسع لأن يجد فيهما ما يُفيد وجود نص ليتورجي سابق، قد جرى فيه تقديس فعلي لعناصر الذَّبِيحَة، قال: ”إنه من الأسهل علينا، ربط تعبير ”الذَّبِيحَة الحيَّة“، بعبارة سابقة من نفس هذا القُدَّاس، تقول: ’نتوسَّل إليك اجعلنا أناساً أحياء‘. ومن هنا تكون ”الذَّبِيحَة الحيَّة والتَّقدمة غير الدَّمويَّة“، تشير إلى ذبيحة التَّسبيح مقدَّمة من داخل لحن الثلاثة تقديسات، وليس تقريباً للقرايين الإيفخارستية، والذي سيأتي ذكره فيما بعد!!!“^(٥٣).

← 14 وفي الحقيقة، قد أحقق الأب جريجوري دكس في هذا الشَّرح، وغيره أيضاً من علماء الليتورجيا في الغرب، لأنهم لم يستطيعوا الإفلات من الرِّباط المحكم للنَّص الليتورجي في قُدَّاس سراييون، بين عبارة: ”ياربَّ القوَّات املاً هذه الذَّبِيحَة الحيَّة، والتَّقدمة غير الدَّمويَّة“، وعبارة كلمات التَّأسيس التَّالية مباشرة: ”إليك قدَّمنا هذا الخبز مثال جسد الابن الوحيد. هذا الخبز هو مثال الجسد المقدَّس...“^(٥٤). ولاسيَّما أن تعبير: ”قدَّمنا“، يأتي هنا في صيغة الماضي، معبِّراً عن تقديم سابق للقرايين.

ومن هنا نرى، أن كلَّ ليتورجيَّة سراييون، والمعنونة منذ بدايتها بعنوان: ”صلاة التَّقدمة“، هي في الأساس صلاة إيفخارستية مرتبطة كلُّها كوحدة واحدة مع ما سبقها من تقديم للقرايين، في طقس تقديم الحَمَل. وكان سراييون يريد أن يقول: ”قد قدَّمنا...“، وذلك قبل أن تبدأ صلاة التَّقدمة نفسها^(٥٤).

← 15 إنَّ هذا الاستدعاء القديم جداً، والذي احتفظت به ليتورجيَّة القُدَّيس مرقس الرُّسول، وليتورجيَّة القُدَّيس سراييون، قبل تلاوة التَّقدِّيس على الخبز والخمر، لم يكن هو الاستدعاء الأوَّل، والذي جذب انتباه علماء الليتورجيا، وألوه بحثاً مصحوباً بالدَّهشة، بل قد سبقه استدعاء آخر لأقنوم الابن الكلمة، وذلك في طقس تقديم الحَمَل، حين قال الكاهن ”صلاة تقدِّمة الخبز والكأس للابن سرّاً“، وفيها يقول: ”أيها السيِّد الرَّب يسوع المسيح... نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر، أظهر وجهك على هذا الخبز، وعلى هذه الكأس، هذين اللذين وضعناهما على هذه المائدة الكهنوتية التي لك، باركهما، قدَّسهما، طهرهما وانقلهما. لكي هذا الخبز يصير جسداً المقدَّس، والزيج الذي في هذه الكأس يصير دمك الكريم...“^(٥٥).

ومن هنا يتضح لنا، أن منطوق الاستدعاء الذي يأتي بعد التَّسبيحة السيرافيمية مباشرة، كان على دراية تامة بالاستدعاء السَّابق له في طقس تقديم الحَمَل، ولاسيَّما في قول القُدَّاس المرقسي: ”قرايينك هذا المكرَّمة، التي بُدء بوضعها أمامك...“، إشارة إلى طقس تقديم الحَمَل. ومن ثمَّ، لم يرد في هذا الاستدعاء طلب لجعل الخبز جسداً للمسيح، أو الخمر دماً له، بل فقط طلب ملء الصَّعيدة بالبرَّكة، أي تكميل الذَّبِيحَة بالبرَّكة التي من قِبَل الآب، وتقديسها بحلول الرُّوح القُدَّس عليها.

إذاً فالاستدعاء الأوَّل - في طقس تقديم الحَمَل - كان لأقنوم الابن، أمَّا هذا الاستدعاء الثاني الذي يأتي هنا قبل التَّقدِّيس على الخبز والخمر، فهو لأقنوم الرُّوح القُدَّس. أمَّا بعد التَّطوُّر الليتورجي الذي حدث بعد القرن الرَّابع الميلادي في كافة الليتورجيات، فقد كان التَّركيز فيه على استدعاء الرُّوح القُدَّس الذي يجري بعد التَّقدِّيس على الخبز والخمر لتحويلهما إلى جسد المسيح ودمه الكريمين^(٥٦). ومع التَّركيز الشَّديد على هذا الاستدعاء همت أمامه استدعاءات أخرى سابقة عليه، لاسيَّما

52- Gregory Dix, Dom, *op. cit.*, p. 166.

53- *Ibid.*, p. 166.

54- *Ibid.*, p. 167.

استدعاء اللُّوغوس كما في طقس تقديم الحَمَل، وكما في قُدَّاس القُدَّيس سراييون بعد تقديس الخبز والخمر^(٥٧).

← 16 خامساً: فِراة المضمون اللِّيُتورجي لكلمات التَّأسيس في قُدَّاسي القُدَّيسين مرقس وسراييون

← 16 • أقدم نصٌّ لكلمات التَّأسيس في القُدَّاس المرقسي اليوناني نجده في بردية دير البلايزا، وهو:

”لأنَّ ربَّنَا يسوع المسيح في اللبلة التي أسلم فيها، أخذ خُبْزاً على يديه المقدَّستين وشكر، وباركه، وقَدَّسه، وقَسَّمه وأعطاه لتلاميذه ورسله قائلاً: خذوا كلوا منه كلِّكم، هذا هو جسدي الذي يُبذل عنكم لمغفرة الخطايا. وهكذا أيضاً بعد العشاء أخذ الكأس، وبارك وشرب منها، وأعطاهم قائلاً: خذوا اشربوا منها كلِّكم، هذا هو دمي المسفوك عنكم لمغفرة الخطايا.

كلُّ مرَّة تأكلون من هذا الخبز، وتشربون من هذه الكأس، تبشِّرون بموتي، تعترفون بقيامتي، تذكرونني“.

• وأمَّا كلمات التَّأسيس في قُدَّاس القُدَّيس سراييون، والذي يتوافق تماماً مع التَّقليد اللِّيُتورجي المصري الذي تنفرد به كنيسة الإسكندرية في هذه الجزئية، فهو:

”إليك قَدَمنا هذا الخبز، مثال^(٥٨) جسد الابن الوحيد. هذا الخبز، هو مثال الجسد المقدَّس. لأنَّ ربَّنَا يسوع المسيح في اللبلة التي أسلم فيها، أخذ خُبْزاً، وكسر وأعطى تلاميذه قائلاً: خذوا كلوا، هذا هو جسدي المكسور لأجلكم لمغفرة الخطايا. لهذا نحن أيضاً قَدَمنا الخبز صانعين مثال الموت. ونوسِّل بهذه الذبيحة، صالحنا جميعاً وارحمنا يا إله الحق...^(٥٩). وأيضاً قَدَمنا الكأس مثال الدَّم، لأنَّ ربَّنَا يسوع المسيح، أخذ كأساً بعدما تعشَّوا وقال لتلاميذه: خذوا اشربوا هذا هو العهد الجديد، الذي هو دمي المسفوك عنكم لمغفرة الخطايا. ولذلك قَدَمنا نحن أيضاً الكأس، مقرِّين (إياها) على مثال الدَّم“.

* * *

(١) تُشير كلُّ اللِّيُتورجيات الشَّرقيَّة بأسرها – استناداً إلى ما ذكره القُدَّيس بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس^(٦٠) – تشير في مقدِّمة كلمات التَّأسيس، إلى أنَّ الرَّبَّ قد أسَّس سرَّ الإيفخارستيا في اللبلة التي أسلم ذاته فيها ليتأمَّ عن خطايانا، ذلك لأنَّ اليوم الكنسي يُحسب في الشَّرْق من غروب الشَّمس إلى غروبها. أمَّا اللِّيُتورجية الغربيَّة، فتذكر أنَّ الرَّبَّ قد أسَّس السَّرَّ في اليوم السَّابق لآلامه، لأنَّ الكنيسة اللاتينية تحسب اليوم، من نصف الليل إلى نصف الليل^(٦١). ومقدِّمة التَّأسيس ترد في عبارة أو وصلة مختصرة^(٦٢). وهي في قُدَّاس القُدَّيس باسيلوس: ”ووضع لنا هذا السَّرَّ العظيم

٥٧- تقدمه القرايين في قُدَّاس سراييون هي تقديم القرايين للكاهن الواقف عند المذبح، بواسطة الشَّماس.

٥٨- كلمة ”مثال“ τύπος تعني ”المثال أو الرَّمز“. والتَّمييز بين الرَّمز والحقيقة لم يكن وارداً عند آباء الكنيسة، ولا في الثُّرات الكنسي المبكَّر. فعند الآباء، الرَّمز يتضمَّن الحقيقة ويعبِّر عنها، وهو الصِّيغة التي تظهر الحقيقة فيها ومن خلالها. فاستعمال الآباء للفظه ”رمز“ وللألفاظ المرتبطة بها ليس غامضاً، ولا غير دقيق، بل هو مختلف عن استعمال اللاهوتيين المتأخِّرين لها، إذ يبدو أنهم لا يدركون أنَّ التحوُّل المتأخَّر في استعمال هذه الألفاظ هو في الأساس إحدى أبرز المآسي اللاهوتية. فالرَّمز ليس سبيلاً إلى إدراك الحقيقة وفهمها وحسب، أي ليس واسطة إدراك وحسب، بل هو واسطة مشاركة أيضاً.

انظر: الأب ألكسندر شيمان، من أجل حياة العالم، منشورات الثور، ١٩٩٤م، ص ٢١١-١٩٠ بتصرُّف.

٥٩- هنا ترد في قُدَّاس سراييون عبارة: ”وكما أنَّ هذا الخبز كان مبعثراً فوق الجبال، وجمَّع إلى واحد، هكذا أيضاً جمع كنيسة المقدَّسة من كلِّ أمَّة، ومن كلِّ كورة، ومن كلِّ مدينة وقرية وبيت، واجعل منها كنيسة جامعة حيَّة واحدة“.

ويرى العالم جريجوري دكس G. Dix أن هذه الفقرة جاءت معترضة تسلسل كلمات التَّأسيس. كما أنَّ وصف القمح الذي يُصنع منه خبز الإيفخارستيا بأنه كان مبعثراً على الجبال، لا يتناسب وطبيعة دلنا نهر النيل المنبسطة، ممَّا يعني أنَّ هذه العبارة ليست من نتاج تقليد محلي لصلاة نشأت من تمويس بدلنا النيل. ولكنَّها في الحقيقة، هي اقتباس مأخوذ من صلوات الأغابي، كما وردت في الفصل التاسع من الديداحي. وهو مؤلَّف سرياني الأصل. ومن ثمَّ، فلم تكن هذه العبارة المذكورة من صُلب النصِّ الأصلي للِّيُتورجية سراييون.

Cf. Gregory Dix, Dom, op. cit., p. 167.

٦٠- ١ كورنثوس ١١: ٢٣

٦١- البطريرك إغناطيوس أفرام الثاني، المباحث الجلية في اللِّيُتورجيات الشَّرقيَّة والغربيَّة، دير الشرفة، ١٩٣٤م، ص ٢٧٤

٦٢- شدَّ القُدَّاس الغريغوري عن هذه القاعدة نوعاً ما، إذ ترد فيه هذه الوصلة طويلة بعض الشَّيء.

الذي للتَّقوى، لأنه فيما هو راسمٌ أن يُسلم نفسه للموت، عن حياة العالم.“

وبعد مقدِّمة التأسيس، تتفق كلُّ القُدَّاسات - بما فيها ليتورجية القُدَّيس سراييون - تتفق على القول: ”أخذ خُبزاً على يديه ...“.

هذه الوصلة القصيرة في القُدَّاس المرقسي، هي: ”لأنَّ ربَّنَا يسوع المسيح في اللَّيلة التي أُسلم فيها“، والتي استطلت فيما بعد إلى: ”لأنَّ ابنك الوحيد، ربَّنَا وإلهنا ومخلصنا وملكننا كلنا يسوع المسيح، في اللَّيلة التي أُسلم ذاته فيها، ليتألَّم عن خطايانا، والموت الذي قبله بذاته بإرادته وحده عنَّا كلنا“.

وهي في قُدَّاس سراييون: ”إليك قَدَّمنا هذا الخُبز، مثال جسد الابن الوحيد. هذا الخُبز، هو مثال الجسد المقدَّس. لأنَّ ربَّنَا يسوع المسيح في اللَّيلة التي أُسلم فيها“.

وهنا نلاحظ أنَّ مقدِّمة كلمات التأسيس - أي هذه الوصلة القصيرة - في النَّص الليتورجي القُدَّاس المرقسي، هي طبق الأصل من قُدَّاس سراييون.

(٢) الميزة الفريدة التي ينفرد بها التَّقديد الليتورجي الإسكندري في رواية التأسيس - والتي تنحصر أساساً في القُدَّاس المرقسي، وقُدَّاس سراييون - هي إيرادُه لنصِّ كلمات التأسيس، في صيغة الماضي.

فتنصُّ كلمات التأسيس في قُدَّاس سراييون - وبكلِّ وضوح - على أنَّ التَّقديم الفعلي للقرايين، قد تمَّ فعلاً في طقس التَّقديمة Offertory أي في طقس تقديم الحَمَل. ولذلك جاء الوصف في صيغة الماضي، حيث وردت كلمة ”قَدَّمنا“ أربعة مرَّات في الزَّمن الماضي، لتؤكد على تقديم للقرايين، قد جرى في الماضي.

أمَّا في القُدَّاس المرقسي، فقد سبق رواية التأسيس مباشرة عبارة وردت هي الأخرى في صيغة الماضي، تقول: ”قرايينك هذه المكرَّمة المبدوء بوضعها أمامك“^(٦٣)، هذا الخُبز، وهذه الكأس“.

وهنا تفرَّد التَّقديد الإيفخارستي الإسكندري - ممثلاً في ليتورجيتي مرقس وسراييون - على كلِّ التَّقاليد الإيفخارستية الأخرى شرقاً وغرباً، في استيعابه لاستدعاء أقتوم الابن لتقديس القرايين، والذي تمَّ في طقس تقديم الحَمَل.

وعند هذا الحد من القُدَّاس الإلهي، ارتبك علماء الليتورجيا شرقاً وغرباً في شرحهم لكلمات التأسيس، بمن فيهم العالم الليتورجي المدقق الأب جريجوري دكس G. Dix (١٩٠١-١٩٥٢م)، لأنه مع غيره من علماء الغرب، يولون رواية التأسيس أهمية كبرى، باعتبارها عندهم هي المحور الرئيسي لكلِّ الصَّلَاة الإيفخارستية، بل والمبرر لكلِّ ما تفعله الكنيسة في الإيفخارستيا^(٦٤).

وفي المقابل، فقد أتجه الشَّرْق للتركيز على استدعاء الرُّوح القدس قُرب نهاية القُدَّاس، وهو الاستدعاء الرَّابع في القُدَّاس المرقسي، ليكون هو محور الصَّلَاة الإيفخارستية، وذروتها.

فأخفق علماء الليتورجيا الغربيون وكثيرٌ من علماء الليتورجيا الشرقيين، ذلك لأنَّ اللاهوت الغربي المدرسي - والذي تسرَّب إلى الشَّرْق - يستخرج بشكل مصطنع من الليتورجيا ”عناصر“ مهمة، يُركِّز عليها كلَّ اهتمامه، ويستخرج من الصَّلوات الليتورجية، لحظات بعينها، هي الأكثر أهمية. ففي الإيفخارستيا ”لحظة“ استحالة القرايين، والتي تجرى في رواية التأسيس، وبعد ذلك المناولة. وفي المعمودية لحظة ”التَّغطيس الثلاثي“. وفي الزَّواج ”الصِّيغة“. وهكذا في باقي الأسرار الأخرى. ولكن يغيب عن هذا اللاهوت، أنه لا يمكن الفصل بين ”أهمية“ هذه اللحظات، والإطار الليتورجي برمَّته، والقادر وحده على كشف فحواها الأصيل. ومن هنا، نلمس الثغرات التي تشوب تفسير الأسرار في اللاهوت المدرسي الغربي^(٦٥).

هذا ما شرحه لنا اللاهوتي الأرثوذكسي الروسي الشَّهير الأب ألكسندر شيمان (+ ١٩٨٣م).

٦٣ - انظر (ص ١٤).

64- Gregory Dix, Dom, op. cit., p. 167.

٦٥ - الأب ألكسندر شيمان، الإيفخارستيا سرَّ الملكوت، تعريب سامر عبود، منشورات النور، ١٩٩٣م، ص ٢١

(٣) تتفق كلٌّ من ليتورجية التقليد الرسولي لهيبوليتس، وقُدَّاس سراييون، وأقدم نصٍّ يوناني للقُدَّاس المرقسي في بردية دير البلايزا، على عدم الإشارة إلى مزج الخمر بالماء في كلمات التأسيس. وهنا يتضح، أن الطقوس القديم لكنيسة الإسكندرية، وطقس كنيسة روما أيضاً، لم يرد فيهما ذكر مزج الخمر بالماء في كلمات التأسيس.

(٤) لم ترد كلمة "وذاق" في أيٍّ من الليتورجيات القديمة. فلم ترد في أقدم نصٍّ يوناني للقُدَّاس المرقسي في بردية دير البلايزا. وحتى ليتورجية القُدَّاس الباسيلي في أقدم نصٍّ قبطي صعيدي لها (القرن السابع للميلاد)، قد حلت هي الأخرى من هذه الكلمة، وهو ما يشير إليه مخطوط دوريس Jean Doresse (١٩١٧-٢٠٠٧م)^(٦٦). إلا أن كلمة "ذاق"، هي في ذات الوقت طقس إسكندري صميم، وإن كان قد بدأ متأخراً نوعاً ما، إذ لم ترد هذه الكلمة في أيٍّ من أنافورات الطقوس الأخرى، سوى في بعض الليتورجيات السريانية التي استعارتها من الليتورجيات القبطية، مثل ليتورجية مار باسيليوس، وليتورجية الاثني عشر رسولاً.

أما عن الطقوس القبطي، فقد وجدت هذه الكلمة في النص اليوناني للقُدَّاس المرقسي^(٦٧)، وهو مخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex الذي يعود إلى القرن الرابع عشر، وأيضاً في النص اليوناني للقُدَّاس الباسيلي، الذي نشره العالم رونودوت E. Renaudot. أما النص اليوناني للقُدَّاس الغريغوري القبطي، فيخلو منها. ولقد اختصت أنافورا القُدَّاس مرقس القبطية بهذه الكلمة، وعنها نقلت أنافورا القُدَّاس باسيليوس، والقُدَّاس غريغوريوس القبطيتان.

وبممارسة الكاهن القبطي ما يقوله بالفعل في نهاية القُدَّاس الإلهي، عند بدء التناول، حيث يذوق هو أولاً من الكأس قبل أن يناول منه لبقية الشماسة والشعب^(٦٨). مشيراً بذلك إلى أن هذا هو التسليم كما فعل الرب مع تلاميذه في ليلة العشاء الأخير.

(٥) إنه في حين تحافظ كافة أنافورات الإسكندرية على اصطلاح: "خذوا اشربوا"، مهما كان الحذف والإضافة المصاحبين لهذه العبارة، إلا أن قُدَّاس القُدَّاس سراييون، يشرح لنا التقليد الإسكندري القديم في ذلك الأمر، حيث ينفرد بذكر أن دم المسيح في كأس الإفخارستيا، هو دم العهد الجديد. فنهج بذلك وبدقة مدهشة، ما قاله الإنجيل المقدس بضم الرب نفسه الذي قال: «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي» (لوقا ٢٢: ٢٠). وهو ما تذكره جميع الأناجيل الإزائية^(٦٩). فيقول قُدَّاس سراييون: "خذوا اشربوا، هذا هو العهد الجديد، الذي هو دمي المسفوك عنكم لمغفرة الخطايا".

وإن عبارة: "دمي الذي للعهد الجديد"، التي تُقال في القُدَّاسات القبطية الحالية، هي إضافة متأخرة، إذ أنها لا توجد في القُدَّاس المرقسي اليوناني بحسب بردية دير البلايزا، ولا توجد في القُدَّاس الباسيلي القبطي في مخطوط دوريس Jean Doresse (١٩١٧-٢٠٠٧م). كما أنها غير معروفة أيضاً في ليتورجية التقليد الرسولي لهيبوليتس. ولعل قُدَّاس القُدَّاس سراييون، هو النواة الأولى التي نشأت عنها هذه العبارة.

(٦) إن عبارة "منها كلُّكم" وذلك في قول الرب بضمه المبارك بعد أن بارك الكأس قائلاً: «اشربوا منها كلُّكم»، كما وردت في إنجيل البشير متى، هو نفس ما نجده في أقدم نصٍّ يوناني للقُدَّاس المرقسي في بردية دير البلايزا، لكن بعد أن عمم هذه العبارة لثقال على الخبز "كلُّوا منه كلُّكم"، ولثقال أيضاً على الكأس "اشربوا منها كلُّكم"، وهو ما نهجت عليه كلُّ الليتورجيات القبطية في نصيها اليوناني والقبطي.

← 17 سادساً: فريدة المضمون الليتورجي للتذكار في قُدَّاسي القُدَّيسين مرقس وسراييون

← 17 • نصُّ مضمون التذكار في القُدَّاس المرقسي، بحسب النص القبطي له، بالمقارنة في الهامش مع نصه اليوناني بحسب

٦٦ - انظر ص ٩ والهامشية رقم ٢٩

67- W.F. Macomber, *op. cit.*, OCP 45 (1979), p. 95.

٦٨ - أنظر: كتاب الخولاجي المقدس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٤١٤

٦٩ - ففي إنجيل متى (٢٦: ٢٦): «اشربوا منها كلُّكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا». وفي إنجيل مرقس (١٤: ٢٤): «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يُسفك من أجل كثيرين». وفي إنجيل لوقا (٢٠: ٢٢): «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يُسفك عنكم».

بردية دير البلايزا، ومخطوط كسمارسك^(٧٠).

”لأن كل مرة تأكلون من هذا الخبز، وتشربون من هذه الكأس، **تبشرون بموتي** وتعترفون بقيامتي، وتذكرونني^(٧١) إلى أن أحيي. (الشعب): بموتك ياربُ نبشُر... الخ“. (الكاهن): فالآن يا الله^(٧٢) الآب ضابط الكل^(٧٣)، **فيما نحن نبشُر بموت ابنك الوحيد**، ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكننا كلنا يسوع المسيح، ونعترف بقيامته المقدسة^(٧٤)، وصعوده على السموات، وجلوسه عن يمينك أيها^(٧٥) الآب، ونتنظر ظهوره الثاني الآتي^(٧٦) من السموات المخوف المملوء مجداً، في انقضاء هذا الدهر، هذا الذي يأتي فيه، ليدين المسكونة بالعدل، ويعطي كل واحد كأعماله، إن كان خيراً وإن كان شراً. (الشعب): كرحمتك ياربُ ولا كخطايانا“.

← 17 • وأما نصُّ مضمون التذكار في قُدَّاس القُدَّيس سراييون، فهو:

”لهذا نحن أيضاً قَدَّمنا الخبز **صانعين مثال الموت**. وتوسَّل بهذه الذبيحة، صالحنا جميعاً وارحمنا يا إله الحق... (٧٧). ولذلك قَدَّمنا نحن أيضاً الكأس، مقربين (إياها) على مثال الدَّم“.

* * *

لقد حافظت الليتورجيات القديمة على ذكر الموت الخلاصي فقط، كموضوع للتذكار. وهو ما تذكره ليتورجية سراييون: ”لهذا نحن أيضاً قَدَّمنا الخبز، صانعين مثال الموت“. ومنذ وقت مبكر، زيد ذكر قيامة الرب في أغلب الليتورجيات حتى القديم منها، وذلك بعد ذكر موته بحسب ما يذكر مار بولس الرسول. فليتورجية التقليد الرسولي لهيبوليتس، تذكر الموت والقيامة فقط، فتقول: ”لذلك نحن نصنع ذكر موته وقيامته“.

ولكن بعد دخول ذكر القيامة مبكراً جداً إلى جانب ذكر الموت، حافظت الليتورجيات القديمة على البدء بذكر الموت الخلاصي كأساس قديم للتذكار. ففي أنافورا القُدَّيس يعقوب أخي الرب السريانية نقراً: ”لذلك، ونحن صانعون ذكر موته...“. وهو ما يذكره القُدَّاس المرقسي بقوله: ”فالآن يا الله الآب ضابط الكل، فيما نحن نبشُر بموت ابنك...“. حيث تأتي بعد ذلك أفعال القيامة والصعود والجلوس عن يمين الآب والحيء الثاني، كتطور للتذكار. ولكن يظل فعل الموت الخلاصي، هو

٧٠- لم يكن النصُّ اليوناني للقُدَّاس المرقسي لكنيسة الإسكندرية، معروفاً حتى منتصف السبعينيات من القرن العشرين. وفي سنة ١٩٧٥م أعلن العالم ماكومبر W.F. Macomber اكتشافه لمخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex ونشر هذا الخبر في مجلة ”لوميزيون Le Muséon“ في هذه السنة المذكورة.

Macomber, W.F., *The Kacmarcik Codex. A 14 Century Greek-Arabic Manuscript Of The Coptic Mass*, in *Le Muséon* 88 (1975) p. 391-395.

تمَّ نشر جانباً من النصُّ اليوناني له سنة ١٩٧٧م في ”دورية المسيحية الشرقية OCP“.

Macomber, W.F., *The Greek Text of the Coptic Mass*, Cited by OCP 43 (1977), p. 308-335.

وهذا المخطوط الذي يعود إلى سنة ١٣٤٥م، كان حوزة رجل يُسمَّى فرانك كسمارسك F. Kacmarcik في ولاية مينيسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية، يحوي نصاً يونانياً للثلاثة قُدَّاسات الباسيلي والغريغوري والكيرلسي، وفي حين أن النصُّ الغريغوري مكتمل، فإن النصُّ الباسيلي والكيرلسي تنقصه بعض الورقات. والمخطوط يحوي ترجمة عربية للقُدَّاسين الباسيلي والغريغوري. أمَّا الترجمة العربية للقُدَّاس الغريغوري، فهي غير مكتملة. ولأن المخطوط لم يكن يشمل الترجمة العربية للقُدَّاس الكيرلسي، فقد نشرها الأب سمير خليل اليسوعي، سنة ١٩٧٨م، على ضوء النصُّ العربي للمخطوط اليوناني المحفوظ في المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم (٣٢٥)، وذلك في ”دورية المسيحية الشرقية OCP“.

Samir Kh. *Le codex Kacmarcik et sa version arabe de la Liturgie alexandrine*, Cited by OCP 44 (1978), p. 74-106 ; 342-390.

إنَّ أهمية مخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex تتبع من كونه أقدم مخطوط يوناني يورد نصوص الصلوات السابقة لصلوة الأنافورا، أي بدءاً من صلوات فرش المذبح، كما أنه أوَّل مخطوط يورد النصُّ اليوناني للقُدَّاس الكيرلسي بحسب التقليد القبطي.

٧١- بردية دير البلايزا: إلى هنا ينتهي النصُّ عندها.

مخطوط كسمارسك: ”... تبشرون بموتي وتعترفون بقيامتي وصعودي“.

٧٢- مخطوط كسمارسك: ”والآن أيها السيد الرب الإله“.

٧٣- مخطوط كسمارسك: ”+ الملك السَّمائي“.

٧٤- مخطوط كسمارسك: ”+ من بين الأموات في اليوم الثالث“.

٧٥- مخطوط كسمارسك: ”يا الله“.

٧٦- مخطوط كسمارسك: ”- الآتي“.

٧٧- انظر الحاشية رقم (٥٩).

المحور الذي تركز عليه كل أفعال الخلاص الأخرى.

وهكذا، حافظ التقليد الإسكندري على ذكر فعل الموت الخلاصي مباشرة في بداية التذكار، ممّا حفظه من إضافات تسبق الموت، كالتسزول على الأرض، والآلام، كما هو حادث في التقليد السرياني المتطور، ومعه التقليد البيزنطي. ومن ثمّ، نجد أن القدّاسين الباسيلي والغريغوري القبطيين، لم ينهجا في ذلك، نهج التقليد الإسكندري. بل إن القدّاس الباسيلي يذكر الآلام، في حين يغفل ذكر الموت

فاليّتورجيات ذات التقليد غير الإسكندري، قد أضافت ذكر الآلام قبل ذكر الموت، مثل ليتورجية يعقوب أخي الربّ السريانية (بعد تطوّرها)، وليتورجية المراسيم الرسولية، وليتورجية كنيسة روما^(٧٨).

على أن إضافة ذكر القيامة، كان بداية إضافة الأعمال الخلاصية الأخرى للربّ. وهذه الإضافات، بدأت من ليتورجية القديس يعقوب أخي الربّ في الطقس السرياني، ومنها أخذت جميع الليتورجيات الأخرى.

والجدير بالذكر هنا، أنه في القدّاس الكيرلسي، وفي نهاية مضمون أو موضوع التذكار، يأتي مباشرة مرد الشعب: "كرحمتك ياربّ وليس كخطايانا"، وذلك تعقياً على ذكر الكاهن لجيء الربّ للدينونة، ليحازي كلّ واحد كأعماله، إن كانت خيراً أم شراً. ولاسيما وصف الجيء الثاني، بأنه الجيء المخوف. وكان إدخال الخوف والرعدة على الليتورجيات القبطية، قد وفد إليها من التقليد السرياني، الذي تكثّر فيه هذه التعبيرات.

ولقد أخذت أنافورا القديس باسيليوس القبطية هذا المرد عينه، ليُقال أيضاً بعد ذكر الجيء الثاني والدينونة، ولكن قبل كلمات التأسيس.

← 18 سابعاً: فريدة المضمون الليتورجي لتقريب القرايين في القدّاس المرقسي

← 18 • نصّ مضمون تقريب القرايين في القدّاس المرقسي: "أنت الذي وضعنا προεθήκαμεν أمام مجدك القدّوس، قرايينك ممّا لك يا أبانا القدّوس".

ومرّة أخرى، نلاحظ أن التقليد الإسكندري، يذكر أن وضع القرايين قد تمّ فعلاً من قبل. حيث تأتي الصيغة في الزمّن الماضي: "وضعنا أمام مجدك ... قرايينك"، إشارة إلى ما تمّ فعلاً في طقس تقديم الحمل. فالطقس الإسكندري ممثلاً في القدّاس المرقسي، لا يقول بتقديم جديد للقرايين، بخلاف جميع الليتورجيات السريانية والبيزنطية، التي تقول بتقديم للقرايين في الحاضر، وهي الصيغة التي وردت في القدّاسين الباسيلي والغريغوري القبطيين.

← 19 ثامناً: الاستدعاء في قدّاس القديس سراييون هو استدعاء لأقنوم الابن

← 19 • نصّ مضمون الاستدعاء في قدّاس سراييون، وهو لأقنوم الابن، وليس لأقنوم الرّوح القدّوس^(٧٩):
"يا إله الحق^(٨٠)، فليأت كلمتك القدّوس على هذا الخبز، لكي يصير الخبز جسداً الكلمة. وعلى هذه الكأس، لكي يصير الكأس دم الحق. واجعله دواء الحياة، لكي يتناول منه كل المشتركين شفاءً لكل مرض، ونوالاً للقوة لكل نمو وفضيلة، وليس للدينونة^(٨١)، ولا للآذراء، ولا للخبزي يا إله الحق^(٨٢)".

٧٨- ورد في كتاب "تراجم الباباوات" المسمّى *liber pontificalis* عن البابا إسكندر الأول (+ ١١٥ م)، أنه أدخل على ليتورجية كنيسة روما، ذكر آلام ربنا. ويغلب على الظن، أن هذه الزيادة قد أدخلت في هذا الموضوع من الليتورجيا.

انظر: البطريرك إغناطيوس أفرام الثاني، مرجع سابق، ص ٢٧٧

٧٩- في قدّاس القديس سراييون، هناك استدعاء لأقنوم الكلمة، ليحل على القرايين. واستدعاء آخر للآب والابن والرّوح القدّوس، ليحل على المؤمنين.

٨٠- مزمو ٦:٣٠

٨١- كولوسي ١:١١-١٤

٨٢- مزمو ٦:٣٠

ومن المعروف أن أقدم استدعاء في ليتورجية القُدَّاس الإلهي هو لأقنوم اللُّوغوس (أقنوم الابن). وإنَّ وساطة الأقنوم الثَّاني من الثَّالوث في تحويل الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه الأقدسين، قد تحدَّث عنها البابا أناسيوس الرُّسولي (٣٢٨-٣٧٣ م). ولازلنا نمارس استدعاء الابن على القرايين حتى اليوم في طقس تقديم الحَمَل، حين يُصَلِّي الكاهن في نهايته، صلاة سرِّية للابن، تُسمَّى ”صلاة التَّقدمة“^(٨٣). ولقد بدأ استدعاء الرُّوح القدس، الأقنوم الثَّالث، في كنيسة مصر حوالي سنة ٤٠٠ م^(٨٣).

← 20 تابع ثامناً: الاستدعاءات في قُدَّاس القُدَّيس مرقس الرُّسول

تحوي ليتورجية القُدَّيس مرقس الرُّسول (القُدَّاس الكيرلُسي) أربعة استدعاءات: الأوَّل لأقنوم الابن في طقس تقديم الحَمَل، والثَّاني والثَّالث والرَّابع لأقنوم الرُّوح القدس أثناء القُدَّاس الإلهي. أمَّا اللِّيتورجيتان القبطيتان الأخریان (القُدَّاسان الباسيلي والغريغوري) فتشتملان على ثلاثة استدعاءات، الأوَّل لأقنوم الابن في طقس تقديم الحَمَل، والاستدعاءات الأخران لأقنوم الرُّوح القدس قرب نهاية القُدَّاس.

والجدير بالذكر أن الاستدعاء الأوَّل هو لتحويل القرايين إلى جسد ودم ربِّنا، أمَّا الاستدعاءات الأخرى، فهي لإظهار أو استعلان القرايين. وسوف نعرف بعد قليل معنى استعلان أو إظهار القرايين.

أمَّا الاستدعاءات الأربعة السَّابِق الإشارة إليها فهي:

← 20 • الاستدعاء الأوَّل لأقنوم الابن في نهاية طقس تقديم الحَمَل، وفيه يقول الكاهن: ”... باركهما، قدَّسهما، طهَّرها، وانقلهما $\sigma\omega\theta\epsilon\omega\tau$ “^(٨٤)، لكي يصير $\eta\pi\epsilon\sigma\psi\omega\pi\iota$ ^(٨٥) هذا الخبز جسداً المقدَّس، والمزيج الذي في هذه الكأس يصير دمك الكريم ... إلخ“.

ويشترك في هذا الاستدعاء الأوَّل، كلُّ من القُدَّاسات القبطية الثلاثة؛ الباسيلي والغريغوري والكيرلُسي.

← 20 • الاستدعاء الثَّاني لأقنوم الرُّوح القدس بعد التَّسبحة السِّيرافيمية وقبل كلمات التَّأسيس، وفيه يقول الكاهن: ”أمَّا هذه الصَّعيدة (أي الذبيحة) التي لك يارب بالبركة التي من قبلك، بحلول روحك القدُّوس عليها ... إلخ“.

وهذا الاستدعاء يعرفه القُدَّاس المرقسي فقط.

← 21 تابع ثامناً: الاستدعاءات في قُدَّاس القُدَّيس مرقس الرُّسول

← 21 • الاستدعاء الثَّالث لأقنوم الرُّوح القدس بعد تقرب القرايين، ويشترك في هذا الاستدعاء الثَّالث، كلُّ من القُدَّاسات القبطية الثلاثة؛ الباسيلي والغريغوري والكيرلُسي.

← 21 ففي القُدَّاس الباسيلي، يقول الكاهن: ”ليحلُّ روحك القدُّوس علينا (نحن عبيدك)، وعلى هذه القرايين الموضوعه، ويطهَّرها، (وينقلها - $\eta\pi\epsilon\sigma\psi\omega\theta\epsilon\omega\tau$) ويطهَّرها، قدَّساً للقدِّيسين“.

← 21 ولكن النصُّ اليوناني لا يرد به الفعل ”ينقلها“، الذي أورده المترجم إلى القبطية، حيث يكتفي النصُّ اليوناني بالقول: ”... وعلى هذه القرايين الموضوعه، ويقدَّسها ويطهَّرها $\alpha\nu\alpha\delta\epsilon\iota\chi\alpha\iota$ قدَّسات للقدِّيسين“.

← 21 وفي القُدَّاس الغريغوري يقول الكاهن: ”أرسل علينا نعمة روحك القدُّوس، لكي تطهَّرها (وصحَّتها: يطهَّرها) $\eta\pi\epsilon\sigma\psi\omega\theta\epsilon\omega\tau$ وتنقل (وصحَّتها: وينقل) $\eta\pi\epsilon\sigma\psi\omega\tau\epsilon\beta$ “^(٨٦) هذه القرايين الموضوعه إلى جسد ودم خلاصنا“.

83- Gregory Dix, Dom, *The Treatise on The Apostolic Tradition of St. Hippolytus of Rome*, London, 1968, p. LIX.

٨٤- هي صيغة الأمر من الفعل $\sigma\omega\theta\epsilon\omega\tau$ ومن بين معانيه الكثيرة: ينقل - يسكب - يحوِّل - يغيِّر - يبدِّل - يقلب - يتجاوز ... إلخ.

٨٥- الفعل $\psi\omega\pi\iota$ يعني: يكون - يصير - يحدث - يصبح.

٨٦- هو نفس الفعل $\sigma\omega\theta\epsilon\omega\tau$

← 21 والفعل ”ينقل“، يأتي في اليونانية μεταποίηση (وهي نفس الكلمة التي وردت في طقس تقديم الحمل). وأصل الفعل هو μεταποιέω وهو يعني المعاني الآتية: remodel (بجدد، يُعيد)، أو alter (يحوّل)، أو to make a pretence of (يُظهر)، أو lay claim to (ادّعى أن)^(٨٧). فلماذا أخذ المترجم إلى القبطية، من هذا الفعل، معنى تحويل أو نقل الأسرار المقدسة، ولم يأخذ منه معنى إظهار أو استعلان الأسرار؟

← 21 وفي القُدَّاس المرقسي يقول الكاهن: ”أرسل إلى أسفل من علوك المقدس ... روحك القُدَّوس ... علينا نحن عبيدك، وعلى هذه القرايين التي لك، المكرمة السَّابق وضعها أمامك، على هذا الخبز وعلى هذه الكأس، لكي كإله كلي القدرة، يتباركا ويتقدَّسا ويتكَمَلًا“^(٨٨).

← 22 تابع تامناً: الاستدعاءات في قُدَّاس القُدَّيس مرقس الرُّسول

← 22 • الاستدعاء الرابع لأقنوم الرُّوح القُدَّس، وهو يعقُب الاستدعاء الثالث مباشرة، ويتدئ بقول الشمَّاس: ”نصت“.

← 22 فيقول الكاهن جهراً: ”وهذا الخبز يجعله ποίηση - πτεφαγ (٨٩) جسداً مقدساً له، وهذه الكأس أيضاً دماً كريماً للعهد الجديد الذي له“.

← 22 فيجيب الشعب: ”آمين“^(٩٠).

وهكذا يتضح أمامنا، أنه برغم أن القُدَّاسين الباسيلي والغريغوري القبطيين، يتبعان التقليد الليتورجي السرياني، إلا أنهما في نصيهما اليوناني، قد راعيا نفس التقليد الليتورجي القبطي في الاستدعاء، إذ يراعيان ما تم من استدعاء لأقنوم الابن في طقس تقديم الحمل^(٩١).

← 22 • وينفرد القُدَّيس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م) بنص إيفخارستي فريد، في القرن الثاني الميلادي، وذو قيمة عالية في تاريخ الاستدعاء. فيقول:

[وعندما نستكمل تقديم الصَّعيدة، نستدعي الرُّوح القُدَّس، لكي يُظهر (يُعلن) هذه الذبيحة، الخبز جسداً

87- Cf. Liddell and Scott, *op. cit.*, p. 504.

٨٨- وذلك بحسب النص اليوناني للقُدَّاس المرقسي القبطي، في مخطوط كسمارسك.

Cf. Macomber, W.F., *The Anaphora of Saint Mark according to the Kacmarcik codex*, in *OCP.*, 45 (1979), p. 96.

أما الترجمة القبطية لهذا النص، فقالت: ”... لكي يتطهراً وينتقلاً“. ولا يمكن تحويل أو نقل القرايين مرتين في القُدَّاس الواحد.

٨٩- أصل الفعل في القبطية هو ἵρι أي (يجعل أو يصير) لكنّه لا يفيد معنى التحوّل. ونفس هذا الفعل القبطي ἵρι يتكرّر في مرد عيد عرس قانا الجليل حين نقول: ”بارك المياه فصيرها خمرًا - ἀφῆμον ἐπιψωον ἀφαιτων ἡηρη“. ولو عُدنا إلى رواية الإنجيل المقدس عن معجزة تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل نقرأ في الترجمة العربية البيروتية: ”... فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحوّل خمرًا...“ (يوحنا ٢: ٩)، فنجد أن كلمة ”المتحوّل“ ترد في النص اليوناني γεγενημένον وأصل الفعل هو γίνομαι ولقد جاءت ترجمة هذه الكلمة اليونانية γεγενημένον في كافة الترجمات الإنجليزية والفرنسية للكتاب المقدس بمعنى (يصبح أو يصير - devenue - now become - having become).

Cf. William F. Arndt & Wilbur Gingrich, *A Greek - English Lexicon of the New Testament and other Early Christian Literature*, London, 1957, p. 158.

ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أن كتابات آباء الكنيسة لا تخلو من تعبير ”التحوّل“.

فالقُدَّيس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م) يقول: [... لقد سبق له في قانا الجليل أن حوّل الماء إلى خمر بفعل إرادته، أفلا يكون حديراً بالتصديق عندما يحوّل الخمر إلى دمه؟] (العظة الرابعة في الأسرار).

ويقول القُدَّيس كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م) في شرحه لإنجيل القُدَّيس متى: [... لكي تعرف أنه بفضل قدرة الله الضابط الكل الفائقة كل وصف، قد تحوّلت μεταποιεῖσθαι القرايين بالحقيقة إلى جسد المسيح ودمه] (PG., 62, 452 B).

90. Macomber, W.F., *The Anaphora of Saint Mark ...*, in *OCP.*, 45, *op. cit.*, p. 97.

91- Cf. Parry, Kenneth, *op. cit.*, p. 137-139.

للمسيح، والكأس دماً للمسيح، حتى لكي يحصل المتناولون منها، على مغفرة الخطايا، والحياة الأبدية^[٩٢].

← 23 تاسعاً: الصلوات السرية التي تُقال بعد أبانا الذي ...

• الليتورجيات الأولى كانت تخلو تماماً من صلاة "أبانا". فهي غير موجودة في ليتورجية التقليد الرسولي لهيبوليتس (القرن الثالث الميلادي)، وغير موجودة في قوانين الرُّسل (أواخر القرن الرابع)، ولم يرد ذكرها في الكتابات الليتورجية الخاصة بالقديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م). ولم تُعرف أيضاً في قدّاس سراييون.

ولكننا نجد الصلاة الربانية في مخطوط دوريس Jean Doresse (١٩١٧-٢٠٠٧م)^(٩٣)، مما يجعلنا نظن أنها ربما تكون من بواكير الإضافات التي أُضيفت على النص الأصلي لهذا المخطوط، حيث أنها تحمل إلينا طقس القديس القبطي في أيام البابا بنيامين الأوّل (٦٢٣-٦٦٢م)، البطريك الثامن والثلاثين، في القرن السابع الميلادي، وهو الوقت الذي أصبحت فيه الصلاة الربانية، منتشرة في كافة الليتورجيات الشرقية والغربية.

وبعد الصلاة الربانية، يقول الكاهن ثلاث صلوات سرية، هي:

(١) صلاة بعد أبانا

بعد أن يُردّد الشعبُ كلّه صلاة أبانا، يقول الكاهن صلاة سرية، تدور حول طلب النجاة، وبالتحديد تُعقب على قول الصلاة الربانية: "لا تُدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير".

← 23 ونص هذه الصلاة في القديس المرقسي، هو: "نعم نسألك يا الله الآب ضابط الكل، لا تُدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير. فالأفعال المتنوعة التي لإبليس اطرحها عنّا، والسعايات الكائنة بمشورة الناس الأشرار، اجعلها كلها كلا شيء، وحصناً كل حين يمينك المحيية، لأنك أنت هو معيننا وناصرنا، بالمسيح يسوع ربنا، هذا الذي من قبله المجد ...".

← 23 وإنه من العجيب حقاً، أن تتفق ليتورجية القديس سراييون مع مضمون هذه الصلاة السرية السابق ذكرها، حيث نقرأ في خولاجي سراييون الصلاة التالية: "إننا ندعوك أنت غير المولود بابنك الوحيد في الروح القدس. ليُرحم هذا الشعب، وليستحق الثُمو. ولتُرسَل ملائكة ليكونوا حاضرين مع الشعب لإبادة الشرير، ولتثبيت الكنيسة"^(٩٤) (١٦:١٣).

وإن أقدم نص ليتورجي على الإطلاق، يُثبت تأصل مضمون هذه الصلاة في وجدان الكنيسة منذ نهاية القرن الأوّل الميلادي، هو ما نقرأه في كتاب: "الديداخي - تعليم الرُّسل"، كصلاة تُقال في نهاية القدّاس، حيث نقرأ: "اذكر يا ربُّ كنيسة لكى تنجيها من كل شر، وتكملها في محبتك. اجمعها (تلك المقدسة) من الرياح الأربع إلى ملكوتك الذي أعدته لها. لأن لك القدرة والمجد إلى الأباد" (ديداخي ١٠:٥).

← 24 (٢) صلاة خضوع للآب

وقد دُعيت هذه الصلاة هكذا، لأن الشعب كلّه يحنون رؤوسهم إثر نداء للشمّاس: "احنوا رؤوسكم للرب"، وهو المرد الذي تعرفه كل الطقوس، فيقول الكاهن صلاة خضوع للآب سراً قائلاً:

"كملت نعم إحسان ابنك الوحيد، ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. اعترفنا بآلامه المخلصة. بشرنا بموته، آمناً بقيامته. وكمل السر. نشكرك أيها الرب الإله ضابط الكل، لأن رحمتك عظيمة علينا، إذ أعددت لنا ما تشتهي الملائكة أن تطلع عليه. نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر، لكي إذ طهرتنا كلنا، تؤلفنا بك من جهة تناولنا من أسرارك الإلهية. لكي نكون مملوئين من روح القدس، وثابتين في إيمانك المستقيم، وممتلئين من شوق محبتك الحقيقية، ونطق بمجدك كل حين،

92- Fragment 37 ; ANF., vol. 1.

٩٣- انظر ص ٩ والهامية رقم ٢٩

٩٤- بعد هذه العبارة التي وردت في قدّاس القديس سراييون عن الأحياء، يأتي مباشرة ذكر الرّاقدين. وهي أقدم وأوضح صورة عن الذبتيخا التي تحمل أسماء الأحياء والمنتقلين.

بالمسيح يسوع ربنا، هذا الذي ...“.

ويأتي عنوان هذه الصلوة في النص اليوناني للقُدَّاس الباسيلي: ”صلاة أخرى للمصريين من قُدَّاس مرقس الرُّسول للقُدَّاسات السَّابق تقديسها (تُقال) بعد التناول من الأسرار المقدَّسة“. ولذلك تأتي فيها كل الأفعال في صيغة الماضي، إذ أنها صلاة شكر، تعقب اكتمال السر المقدَّس. ويتضح منها عمل السرِّ فينا. وتثبت الشواهد من داخل النص، أنها صلاة قديمة، بل سحيقة في القِدَم، ربما ترقى إلى القرن الرَّابِع الميلادي.

ويقابل صلاة الشُّكر هذه، صلاة شُّكر ترد في قُدَّاس القُدَّيس سراييون، تُقال بعد التناول، هي: ”نشكرك يا سيِّد لأنك دعوت السَّاقطين، وقبلت الخاطئين، وتغاضيت عن وعيدك تجاهنا، إذ بمحبَّتكَ للبشر نزعته، وبالتَّوبة أبطلته، ومعرفتك محوته. نشكرك، لأنك قد أعطيتنا شركة الجسد والدم^(٩٥). باركنا وبارك هذا الشَّعب، واجعل أن يكون لنا نصيبٌ في الجسد والدم، بابنك الوحيد، الذي به لك المجد والقدرة في الرُّوح المقدَّس، الآن وكلَّ أوان، وإلى كلِّ آباد الدُّهور. آمين“ (١:١٦-٣)

← 24 أما صلاة الخضوع للآب في القُدَّاس الكيرلسي، فمن بين كلماتها: ”يا الله الذي أحبنا هكذا، وأنعم لنا برُبَّة البنوَّة ... نحن الوارثين لك يا الله الآب، وشركاء في ميراث مسيحك، أمل أذنك ياربُّ واسمعنا، نحن الخاضعين لك، وطهِّر إنساننا الدَّاخلي كطهِّر ابنك الوحيد، هذا الذي نضمّر أن نأخذه (نتناوله) ... لكي يطهِّرنا من هذه الأسرار النقيَّة، وتطهِّر كلنا كاملين في أنفسنا وأجسادنا وأرواحنا، إذ نصير شركاء في الجسد^(٩٦)، وشركاء في الشَّكل^(٩٧)، وشركاء في خلافة مسيحك ...“^(٩٨).

← 24 أما الصلوة التي تُقال قبل التناول مباشرة، في قُدَّاس القُدَّيس سراييون فهي: ”اجعلنا مستحقِّين لهذه الشَّرْكة (التناول) يا إله الحق^(٩٩)، وامنح أجسادنا نموًّا في العفة، وامنح أنفسنا فهماً ومعرفة، وأعطنا حكمة يا إله الرِّافات بواسطة تناول الجسد والدم، لأنَّ لك المجد والقدرة، بابنك الوحيد في الرُّوح القدس، الآن وإلى كلِّ آباد الدُّهور. آمين“. (١:١٤، ٢).

← 25 (٣) صلاة التَّحليل موجَّهة للآب في القُدَّاس المرقسي، ويقابلها الذَّبتيخا في قُدَّاس سراييون الأسقف

وقبل أن يبدأ التَّحليل ينادي الشَّمَّاس: ”ننصت بحُوف الله“، فيجيب الكاهن قائلاً: ”السَّلام لجميعةكم“، فيجيبه الشَّعب: ”ولروحك أيضاً“، فتدخل الكنيسة فترة صمت ليتورجي. وفيها يُصلي الكاهن صلاة التَّحليل سرًّا. أما الشَّعب فواقفٌ أمام الله في خشوع، مصغياً بقلبه لا بأذنيه، منحني الرأس. إنه أسمى تعبير عن الامتثال في سلام الرَّب، إذ هو سكون

٩٥- ١كورنثوس ٦:١٠

٩٦- انظر: أفسس ٣:٦

يقول القُدَّيس كيرلس الكبير: [إن كُنَّا كلُّنا شركاء في الجسد، بعضنا مع بعض في المسيح، وليس فقط بعضنا مع بعض، بل ومعه أيضاً، إذ هو فينا بجسده الخاص؛ فكيف لا نكون كلُّنا منذ الآن واحداً بوضوح، بعضنا مع بعض وفي المسيح؟ فإن المسيح هو رباط الوحدة، بسبب كونه في نفس الوقت لها وإنساناً] (تفسير إنجيل يوحنا ١٧: ٢٠ و٢١).

٩٧- يقول القُدَّيس غريغوريوس التَّزيزي (٣٢٩-٣٨٩م): [كنتُ شريكاً في صورته، ولم أحافظ على الصُّورة. والآن قد اشترك في جسدي، لُجِدَّد في هذه الصُّورة، بل ويجعل جسدي أيضاً خالداً. فقد أعطاني شُرْكةً معه أعجب جداً من الشَّرْكة الأولى. ففي القِدَم أشركني فيما هو أفضل مني (أي صورته ومثاله)؛ وأما الآن فقد اشترك هو في أردأ ما في (لُيُخْلِصَنِي منه)، وهذا العمل الأخير يُطهِّر صلاحه الإلهي بطريقة أسمى جداً، من العمل الأوَّل لدى ذوي الفهم!] (عظة ٤٥: ٩ NPNF, 2nd Ser., vol. VII, p. 426).

ويقول القُدَّيس كيرلس الكبير: [باعتبار (الرُّوح المقدَّس) لها ومنبتاً من الله، فهو يطبع نفسه - بطريقة غير منظورة - في قلوب الذين يقبلونه، كما يطبع الختم نفسه في شمع. فهو بواسطة الشَّرْكة معه والمشاهاة به، يُعيد رسم طبيعتنا بحسب جمال المثال الأصلي، ويجعل الإنسان مرَّةً أخرى على صورة الله] (كتاب الكنز في الثالوث ٣٤).

ويقول القُدَّيس كيرلس أيضاً في قول مهم له: [كان مستحيلاً علينا نحن الذين سقطنا من ربَّتينا بسبب المعصية الأولى، أن نعود إلى مجدنا الأوَّل، إلَّا بمحصولنا على شُرْكة لا يُنطق بها مع الله والاتحاد به ... ولكن لا يستطيع أحد أن يصل إلى الاتحاد بالله إلا بشُرْكة الرُّوح المقدَّس، الذي يبيِّث فينا قداسته الخاصة، ويُعيد تشكيل طبيعتنا التي فسدت إلى شكل حياته الخاصة ... وهكذا يرجع إلى الله وإلى التَّشْبِه μὴ ὁμοιωσιν به، أولئك الذين ”أعوزهم ذلك المجد“ (انظر رومية ٣: ٢٣)] (تفسير إنجيل يوحنا ١٧: ٢٠، ٢١ Pusey & TLG 2.730.30-731.8).

٩٨- ربما تكون هذه هي أطول صلاة بَرَكَة على الشَّعب في كافة الليتورجيات جميعاً. وهي من وضع يوحنا أسقف بُصرى Bostra عاصمة

حوران بإقليم سورية.

٩٩- مزمو ٣٠:٦

الرَّبِّ الآتي (١٠٠)، وهو موقف البنين المطمئنين في حضرة أبيهم.

← 25 يقول الكاهن في قُدَّاس القُدَّيس مرقس (١٠١): ”أيها السيِّد الرَّبِّ الإله ضابط الكلِّ، شافي نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا... فليكن يا سيِّدي عبيدك آبائي وإحوتي وضعفي محاللين من فمي بروحك القُدَّوس أيها الصَّالح محب البشر. اللّهم يا حامل خطيئة العالم، اسبق بقبول توبة عبيدك منهم، نوراً للمعرفة، وغفراناً للخطايا... اللّهم حاللنا وحال كلِّ شعبك من كلِّ خطيئة، ومن كلِّ لعنة، ومن كلِّ جحود...“.

إنَّ الطَّقُس القبطي، هو الطَّقُس الوحيد بين طقوس كنائس العالم شرقاً وغرباً، الذي يورد صلاة تحليل في هذا الموضع المتأخّر من القُدَّاس الإلهي، باستثناء كنائس شمال إفريقيا في القرن الرَّابع الميلادي.

وإنَّ هذا التَّحليل، هو أصلاً من أجل الذين كانوا تحت قانون توبة، وهو موضوع هنا - وفي هذا المكان المتأخّر من القُدَّاس - لكي يعطيهم الشَّجاعة ليشتركو مع بقية المؤمنين بضمير طاهر. ومع الوقت، اتَّسع هذا التَّحليل حتى شمل كلِّ أحدٍ، وكلِّ خطيئة (١٠٢).

← 25 وفي مقابل هذا التَّحليل الأخير في القُدَّاس المرقسي، تأتي صلاة من أجل الأحياء والراقدين في قُدَّاس القُدَّيس سراييون. حيث يقول: ”إننا ندعوك أنت غير المولود بابنك الوحيد في الرُّوح القُدَّس. ليُرحم هذا الشَّعب، وليستحق التُّمو. ولتُرسل ملائكة، ليكونوا حاضرين مع الشَّعب لإبادة الشُّرير، ولتشبيث الكنيسة. نتوسَّل أيضاً من أجل كلِّ الذين رقدوا، الذين تذكّارهم هو... (١٠٣). قدَّس هذه التُّفوس، لأنك تعرف الكلِّ. قدَّس كلَّ التُّفوس التي رقدت في الرَّبِّ (١٠٤)، احسبهم مع كلِّ قوَّاتك المقدَّسة، وأعطهم موضعاً ومسكناً (١٠٥) في ملكوتك“ (١٧، ١٦: ١٣).

← 26 ملحق عن ”أوشية الرَّاقدِين“ في خولاجي القُدَّيس سراييون

• لقد أوردَ خولاجي القُدَّيس سراييون صديق البابا أثناسيوس الرُّسولي صلاة مبدعة، تُقال من أجل الميت والمنقول للدفن، تقول:

← 26 ”يا الله الذي له سلطان الحياة والموت، يا إله الأرواح وسيِّد كلِّ جسد، يا الله الذي يُميت ويحيي، الذي يُهبط إلى الجحيم ويُصعد، الذي يخلق روح الإنسان فيه، الذي يتسلَّم قلوب القُدَّيسين وينجيها، الذي يُبدِّل ويحوِّل ويغيِّر شكل خلائقه، بحسب ما هو عادل ومفيد. أنت وحدك غير قابل للفساد، وغير المتغيِّر الأبدي.

نتوسَّل إليك من أجل رُقاد ونياح عبدك هذا، (أو عبدتك هذه)، نبيح نفسه وروحه في مراعيك، في مواضع الرَّاحة مع إبراهيم وإسحق ويعقوب، وجميع قُدَّيسيك. أمَّا الجسد، فأقمه في اليوم الذي حدَّدته كمواعيدك غير الكاذبة، لكي تعطيه أيضاً ميراثاً كاستحقاقه، في مراعيك المقدَّسة.

لا تذكُر زلَّاتِهِ وخطاياهِ، واجعل أن يكون خروجه سلامياً ومباركاً. اشفِ أحزان الحزونين بروحك المعزي، وامنحنا جميعاً نهايةً صالحة، بابنك الوحيد يسوع المسيح، الذي به لك المجد، والقُدرة، في الرُّوح القُدَّس، إلى آباد الدُّهور“ (١٠٦).

١٠٠ - مزومور ٧: ٣٧؛ إشعياء ١: ٤١؛ مراثي إرميا ٣: ٢١؛ حبقوق ٢: ٢٠؛ صفييا ١: ٧؛ مرقس ٤: ١٩؛ رؤيا ١: ٨

١٠١ - هذا التَّحليل يُقال في القُدَّاسين الكيرلسي والباسيلي علي حدِّ سواء.

١٠٢ - أليس غريباً أنه بالرَّغم من وجود هذا التَّحليل هنا، فُرب نهاية القُدَّاس، وقبل التَّناول مباشرة، أن يظل بعض الآباء الكهنة يقرؤون صلوات التَّحليل للرَّاغبين في التَّناول في أثناء القُدَّاس الإلهي، وحتى اللَّحظات الأخيرة منه؟ وكأنَّ هذا التَّحليل الذي قاله الأب الكاهن على كلِّ شعب الكنيسة غير كاف! القُدَّاس الإلهي ليس هو الوقت المناسب للاعتراف السَّرِّي على الكاهن.

١٠٣ - هنا تُذكر الأسماء.

١٠٤ - رؤيا ١٤: ١٣

١٠٥ - يوحنا ١٤: ٢

١٠٦ - مترجمة عن اليونانية من

مقابلة بين نصِّ أوشية الرَّاقدِين في كلِّ من خولاجي سراييون، وما نُصِّليه اليَوْم هذه الأوشية
تأمل هذه المقابلة البديعة:

أوشية الرَّاقدِين كما نصِّليها اليَوْم	أوشية الرَّاقدِين عند القُدَّيس سراييون
اذكر يارب عبيدك الذين رقدوا ... نبيح نفوسهم جميعاً... علهم في موضع خُضرة، على ماء الرَّاحة.	نتوسل إليك من أجل رُقَاد ونياح عبديك، نبيح نفسه وروحه في مراعيك، في مواضع الرَّاحة.
في حضن آباتنا القُدَّيسين، إبراهيم وإسحق ويعقوب في نور قُدَّيسيك.	مع إبراهيم وإسحق ويعقوب وجميع قُدَّيسيك.
أقم أجسادهم في اليَوْم الذي رسمته، كمواعيدك الحقيقيَّة غير الكاذبة.	أمَّا الجسد، فأقمه في اليَوْم الذي حدَّدته، كمواعيدك غير الكاذبة.
وليستحقوا ملكوت السَّموات، وأعطهم وإيانا نصيياً وميراثاً.	كي تعطه أيضاً ميراثاً كاستحقاقه، في مراعيك المقدَّسة.
اللَّهُم تفضَّل اغفر لهم ...	لا تذكر زلَّاته وخطاياهم ...